مؤسسا المدرسة السالمية

التعريف والآراء

بقلم
د/ مسعد عبد السلام عبد الخالق
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين - بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فترجع صلتي بالمدرسة السالمية إلى فترة إعداد رسالة التخصص (الماجستير)، حيث كنت أقرأ في كتاب «تلبيس إبليس» لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فوجدته يتتبعهم وينقدهم، ولم أكن أعرف عن تلك المدرسة شيئًا، فدفعني حب المعرفة ومحاولة استكناه المجهول إلى أن أعرف أكثر عن السالمية، وبقيت الرغبة عندي فترة، تقل مرة وتزداد أخرى، حتى منَّ الله عليَّ بالعزم والإرادة، فوجدتني أدفع للقراءة عن السالمية في كتب التراجم والصوفية، ولقد لفت نظري أثناء قراءتي قلة المعلومات عن تلك المدرسة، كما وجدت في هذه المعلومات القليلة مدحًا يتجه إلى مؤسسي المدرسة، ونقدًا يتجه إلى التلاميذ والأتباع، فحركني ذلك إلى محاولة جمع المعلومات القليلة المنثورة هنا وهناك؛ لتكوين صورة واضحة عن تلك المدرسة، كما دفعني إلى محاولة جمع الآراء والأقوال المنسوبة إلى (ابني سالم) –مؤسسي المدرسة– ودراستها ومحاولة الاستفادة منها في جانبين:

الجانب الأول: أن دراسة الآراء والأفكار عن المؤسس تعطي معالم أكثر عن المدرسة.

والجانب الثاني: أن دراسة الأراء والأفكار تعين على الربط بين بداية أي مدرسة أو أي فرقة وما أضافه التلاميذ والأتباع، لمعرفة مدى القرب أو البعد من الصورة الأولى التي رسمها المؤسس، وذلك يفتح الباب إلى معرفة من أين يدخل الخلل إلى تعاليم أي مدرسة.

وقد جاءت محاولتي في دراسة سميتها (مؤسسا المدرسة السالمية التعريف والآراء)، وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة: فذكرت فيها بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، سبب اختياري للموضوع، وخطة البحث.

وأما المبحث الأول: فعرفت فيه بأبي عبد الله بن سالم وولده أبي الحسن وسميته: محمد بن سالم وولده أبو الحسن.

وأما المبحث الثاني: فقمت فيه بالحديث عن تأثير سهل بن عبد الله التستري في ابني سالم ومدى هذا التأثير وسميته:(سهل بن عبد الله التستري وتأثيره في أبي عبد الله بن سالم وولده).

وأما المبحث الثالث: فتكلمت فيه عن تلاميذ أبي سالم وأتباعهما، وسميته: (التلاميذ والأتباع).

وأما المبحث الرابع: فجمعت فيه آراء ابني سالم، وقمت بدراستها ومحاولة بيان مدى قربها أو بعدها عن آراء أهل السنة والجماعة، سواء كان ذلك في الجانب الكلامي أو الصوفي وسميته: (آراء ابني سالم).

وأما الخاتمة: فذكرت فيها بعد الحمد لله على نعمة التمام، والصلاة والسلام على خير الأنام، أهم نتائج البحث وتوصياته، وفهارسه العلمية.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة، وأن يكون سببًا في تنبيه الباحثين إلى دراسات أخرى من هذا الباب ؛ إنه خير مأمول وعلى الإجابة قدير.

د / مسعد عبد السلام

المبحث الأول

محمد بن سالم وولده أبو الحسن

في البصرة وسوادها من بلاد العراق كان مولد المدرسة السالمية إحدى المدارس الصوفية التي نشأت وترعرعت إبان القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكان لها أثر كبير في العالم الإسلامي بعد ذلك، والسالمية تنسب إلى رجلين كلاهما يسمى ابن سالم، الثاني منهما فرع الأول، والأول أصل ووالد.

*** أبو عبد الله بن سالم الكبير:**

لم تذكر كتب التراجم والطبقات كثيرًا عن حياة ابن سالم الكبير، لا عن مولده ولا عن نشأته وأسرته، ولا عن تفاصيل حياته، مكتفية بذكر نسبه وشيء من أقواله وآرائه، ولكن في الأقوال والآراء ما يمكن أن يكون مفتاحًا لمعرفة المزيد عن ابن سالم.

وابن سالم هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري[1]، ولا ندري هل كان لابن سالم ولد يسمى عبد الله فكنى به أو لا، فلعل له ولدًا يسمى عبد الله، فإن كان فإما أن يكون خامل الذكر؛ لأنه لم يشر إليه في أي من المراجع التي تحدثت عن أبيه، أو يكون قد توفي صغيرًا، أو تكون شهرة أخيه أحمد –

(١) ينظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ص١٠١)، ط الشعب، ١٣٨٠هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (١٦١/٨)، ت/ د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، طبقات الأولياء لسراج الدين بن الملقن (ص٢٣٦)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، نفحات الأنس من حضرات القدس، لأبي البركات عبد الرحمن الجامي، (ص٤٠٧)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠١٠م، الطبقات الكبرى للشعراني (١٦٦/١)، مكتبة محمد المليجي الكتبي، مصر، ط ١٣١٥هـ.

الذي تولى رئاسة المدرسة بعد أبيه والذي سنتحدث عنه بعد ذلك- قد طغت عليه، ولعل تلك الكنية كانت لحقت ابن سالم قبل أن يتزوج وينجب على عادة المشاركة إذ كانوا يكنون المرء تيمنًا.

وأما نسبته: (البصري) فليس في الكتب ما يفيد أنه ولد بالبصرة ونشأ فيها، بل عبارة أبي البركات الجامي (ت ٨٩٨هـ) تشير إلى أنه لم يكن من أهل البصرة، ولكنه وافد إليها استقر بها فترة طويلة من الزمن، وذلك قوله: «كان في البصرة ستين سنة»[١]، وإذا عرف أنه صحب سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ) ستين سنة، وأن عمره أكثر من الستين، وقد كان سهل بالبصرة[٢] تأكدنا أن ابن سالم لم يكن من البصرة أصلاً ولكنه وفد إليها.

ولم يعرف لأبي عبد الله بن سالم مرب ولا معلم سوى سهل بن عبد الله التستري، فقد ذكر ابن سالم عن نفسه أنه لازمه ستين سنة، قال أبو الحسن بن سالم (ت ٣٥٦هـ): سمعت أبي يقول: خدمت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عن شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن، وغير ذلك، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه هذه الآية ﴿ **فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[الحديد: ١٥]، فرأيته قد ارتعد وكاد أن يسقط[٣].

وقد كان أبو عبد الله بن سالم مقتنعًا بسهل بن عبد الله التستري إمامًا ومربيًا وشيخًا وموجهًا، وإلا لما لازمه هذه المدة الطويلة، ولأخذ عن غيره من

(١) نفحات الأنس (ص٤٠٧).
(٢) طبقات الأولياء (ص٢٣٣).
(٣) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي (ص٣٦٥)، ت د/ عبد الحليم محمود رحمه الله، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ط١، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

كبار الصوفية الموجودين آنذاك، أمثال الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)، والجنيد (ت ٢٩٧هـ)، ومعروف الكرخي (ت ٢٥٧هـ) وغيرهم كثير، قال أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) عن أي عبد الله بن سالم: «صاحب سهل بن عبد الله وراوي لكلامه، ولا ينتمي إلى غيره من المشايخ»[١].

وإذا كان سهل التستري قد توفي سنة ٢٨٣هـ[٢] وابن سالم توفي سنة ٢٩٧هـ[٣]، فإن هذا معناه أن أبا عبد الله بن سالم دخل في خدمة سهل سنة ٢٢٣هـ، وأن ولادة بن سالم كانت في بداية القرن الثالث الهجري، وأنه عمر طويلاً، فعمره من دخوله في خدمة سهل إلى وفاته سبع وسبعون سنة.

وكما لم يعرف أبو عبد الله بن سالم شيخًا سوى سهل، كذلك لم يذكر له تلاميذ سوى ولده أبي الحسن الذي كان في أثناء دروسه وتعليمه يذكر كثيرًا من أقوال أبيه[٤].

والسبب في قلة تلاميذ أبي عبد الله بن سالم عدة أمور:

١- اشتغاله فترة طويلة بخدمة سهل التستري وملازمته كما سبق.

٢- أنه كان يتلفظ أحيانًا ببعض العبارات التي لم تكن تتحملها عقول العوام، ولم تقو عقولهم على أن يحملوها على محملها الصحيح، مما كان سببًا في نفرة الناس عنه، قال أبو البركات الجامي (ت ٨٩٨هـ): «قال أبو عبد الله بن

(١) طبقات الصوفية (ص١٠١).
(٢) طبقات الصوفية (ص٤٨).
(٣) نفحات الأنس (ص٤٠٧).
(٤) ينظر: اللمع للطوسي (ص٣٨١، ٤٠٠، ٤٠٢)، الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري (٥٣٤/٢)، ت د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

سالم: الله ناظر في الأزل على جميع الأشياء فهجروه بسبب هذا الكلام»[١].

٣- ميله النفسي وجنوحه الشخصي إلى العزلة وعدم المخالطة إلا بقدر، فمن أقواله: «العاقل من زهد في صحبة أبناء الدنيا، فإنهم إن لم يشغلوه بها شغلوه عما هو فيه»[٢].

وقد كان أبو عبد الله بن سالم من أهل الجد والاجتهاد في الطاعة والعبادة[٣]، كما كان على درجة عالية من الأدب والوقار، وحسن الخلق، وجميل المعاملة، ويتضح ذلك في قوله وفعله، أما قوله: فعندما سئل عن علامة الولي؟ قال: يعرف بلطف اللسان، وحسن الخلق، وبشاشة الوجه، وسخاء النفس، وقلة الاعتراض، وقبول عذر من اعتذر إليه، وتمام الشفقة على جميع الخلائق برهم وفاجرهم[٤].

وأما فعله فقد خدم سهلاً فترة طويلة، وقد كان سهل يؤدبه ويزجره أحيانًا، وهو في جميع ذلك راض بفعل أستاذه، ينظر إلى نفسه أنه تلميذ أو مريد ينبغي أن يكون خلوقًا صبورًا، حتى يأخذ جميع ما عند أستاذه[٥].

كما كان يرى أن ستر العورات والهفوات له عوامل تعين على ذلك منها الحلم والسخاء[٦].

---

(١) نفحات الإنس من حضرات القدس (ص٤٠٧).
(٢) طبقات الصوفية (ص١٠١).
(٣) طبقات الصوفية (ص١٠١)، نفحات الأنس (ص٤٠٧).
(٤) طبقات الصوفية (ص١٠١)، نفحات الأنس (ص٤٠٨).
(٥) ينظر: تقديم د/ محمد كمال جعفر لكتاب المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى في الأصول، لسهل بن عبد الله التستري (ص٣١)، دار الإنسان، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
(٦) طبقات الصوفية (ص١٠١).

ويذهب د/ محمد كمال جعفر في تقدمته لكتاب سهل التستري «المعارضة والرد» إلى أن أبا عبد الله بن سالم كان يتسم بالتؤدة والبطء والرزانة والهوادة، ويدلل على ذلك بالمقارنة بين ابن سالم والحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، وكلاهما من تلاميذ سهل التستري[١] فيقول: وتدل الإشارات التي وعتها كتب التاريخ عن ابن سالم على أن روحه العامة ومزاجه الصوفي كانا يتسمان بالتؤدة والبطء، كما أن تقدمه في حياته الروحية كان في غاية من الرزانة والهوادة، ولإيضاح ما نعنيه يجدر بنا أن نوجه أنظارنا إلى الحلاج فقد أظهر إبان تتلمذه على سهل طبعا ومزاجًا يختلف تمام الاختلاف مع ابن سالم، فطابع الحلاج يمكن أن يوصف بالحدة والثورية والانطلاق الجسور، حتى أعلن ظفره بالاتصال الصوفي وعلت نبرته في مجال المعرفة، وإدراك الحقائق في زمن وجيز، أما ابن سالم فقد خدم سهلاً بإخلاص نادر وإيثار وإنكار للذات، لقد خدم سهلاً فعلاً في جميع شئون الخاصة والعامة[٢]، هذا ولم يترك أبو عبد الله بن سالم مؤلفًا يحوي أقواله وآرائه، إلا أنه وإن لم يترك مؤلفًا، فقد ترك ولدًا صار شيخًا له تلاميذ كثيرون يطلبونه ويقصدونه وينشرون علمه هنا وهناك.

*** أبو الحسن بن سالم:**

يشارك أبو الحسن بن سالم أباه عبد الله في كون كتب التراجم والطبقات لم تذكر شيئًا عن مولده ونشأته الأولى وتفاصيل حياته الأسرية، إلا أنه كان أحسن حالاً من أبيه؛ لأن له أتباعًا وطلابًا لا زالت آثارهم وكتبهم فيها شيء من أخبار أستاذهم ومعلمهم.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦٨٨/٨)، ت د/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م.

(٢) المعارضة والرد (التقديم) (ص٣١).

وأبو الحسن بن سالم هو أبو الحسن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن سالم البصري[١] وما قيل في كنية أبيه ونسبته يقال هنا، إلا أن الظن الغالب أن أبا الحسن ابن سالم ولد في البصرة؛ لأنه ولد في النصف الثاني من عمر أبيه، وأبوه إذ ذاك كان مقيمًا على خدمة سهل التستري بالبصرة.

وقد اختلف في وفاة أبي الحسن بن سالم، فبينما يذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٣٦٠هـ[٢]، يذكر بعضهم أنه توفي سنة ٣٥٦هـ[٣] وقد نص شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) على أن أبا الحسن بن سالم كان من أبناء التسعين[٤]، وعلى هذا فقول من قال : إنه توفي سنة ٣٦٠هـ معناه أنه ولد سنة ٢٧٠هـ، وقول من قال :إنه توفي سنة ٣٥٦هـ يفيد أنه ولد سنة ٢٦٦هـ،وهذا القول هو الأقرب إلى الصواب كما سيتضح بعد قليل.

ولم تذكر كتب التراجم لأبي الحسن بن سالم شيوخًا إلا أباه وسهل بن عبد

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (٣٠٢/١٢)، دار الحديث، القاهرة، ط١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، تاريخ الإسلام (١٦١/٨)، ت د/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (١٢/٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، (٣١٨/٤)، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د/ علي سامي النشار، (٣٣٠/١)، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٠٢/١٢)، تاريخ الإسلام (١٦١/٨٠)، الوافي بالوفيات (١٢/٨)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (٢٨٠/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٧٣/٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) تاريخ الإسلام (١٦١/٨).

الله التستري، فقد أدرك سهلاً وأخذ عنه، وتلقى منه، وأخذ بطريقته في الطاعة والعبادة والتصوف[1]، والذي يسر له ذلك : أن أباه كان من تلامذة سهل وعلى طريقته، وقد صرح ابن سالم (الابن) بالأخذ عن سهل بن عبد الله التستري في مرات كثيرات[2]، وفي مقدمة كتاب «المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى في الأحوال» لسهل بن عبد الله التستري أن أبا الحسن بن سالم يقول: إنه كتب إلى سهل بن عبد الله بخمسة آلآف مسألة في علم التوحيد والمعرفة واليقين والرضا والتوكل وعلم النفوس: من الصدق والإخلاص والخوف والرجاء والورع والزهد والحياء والمراقبة وما أشبه ذلك، وإن سهلاً أجاب عن جميعها، وإن أبا الحسن يحفظ جواب الجميع بمسائله[3].

وهذا الكلام معناه أن أبا الحسن بن سالم التقى سهلاً فترة كافية أهلته لنيل مكانة عند سهل، حتى إنه ليكتب له بهذا العدد الكبير من المسائل ويجيب سهل عنها، وهذا يقوي أن ابن سالم قد ولد سنة ٢٦٦هـ أي قبل وفاة سهل بن عبد الله بسبع عشرة سنة، أما كونه ولد سنة ٢٧٠هـ فهذا معناه أنه كان عمره وقت وفاة سهل ثلاث عشرة سنة وهذا وقت لا يكفي لأن يأخذ ابن سالم الابن العلم الكثير عن سهل كما أن السبعة عشر سنة وقت قليل إذا قيل: إن علوم ابن سالم (الابن) مردها إلى سهل التستري، إما مباشرة أو بواسطة، وفي ذلك إشارة إلى أن أبا الحسن بن سالم كان يمتاز بقوة القريحة وشدة الذكاء، وإلا لما استطاع ان يحفظ هذا العدد الكثير من المسائل مع أجوبتها.

---

(١) تاريخ الإسلام (١٦١/٨)، مرآة الجنان (٢٨٠/٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري (ص١٤٨، ٢٠١، ٢٧٠، ٣٣٩)، دار الحرم للتراث، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، اللمع لسراج الدين الطوسي (ص٧١، ٣٦٥).

(٣) المعارضة والرد على أهل الفرق (ص٧٣).

ومما يقوي أن أبا الحسن بن سالم كان في خدمة سهل وعمره قد قارب العشرين أنه حكى عن نفسه أنه كان يصنع الطعام لسهل بن عبد الله وضيوفه[١] وأظن أن من عمره ثلاث عشرة سنة عند وفاة سهل لا يقوى على مثل ذلك.

وقد ذكر أبو نصر الطوسي (ت ٣٧٨هـ) -تلميذ أبي الحسن بن سالم- أنه سمع ابن سالم يقول: صحبت سهل بن عبد الله رحمه الله ستين سنة فقلت له يومًا: قد خدمتك ستين سنة ولم ترني يومًا واحدًا من هؤلاء الذين يقصدونك، يعني البدلاء والأولياء، فقال لي: ألست تدخلهم عليَّ كل يوم؟ أما رأيت صاحب الفوطة والسواك الذي كان يكلمك بالأمس؟ فإنه كان منهم[٢].

وهذا الذي ذكر الطوسي غير سديد ولا سليم، إذ لو كان ذلك سليمًا وقد توفي سهل سنة ٢٨٣هـ، فهذا معناه أن أبا الحسن بن سالم قد دخل في خدمة سهل سنة ٢٢٣هـ أي قبل ولادة ابن سالم بزمن طويل، والذي يغلب على ظني أن كلام الطوسي هذا فيه سقط، فلعله كان يحكي عن ابن سالم عن أبيه، ولكن سقط ما يفيد أن الحكاية عن ابن سالم الأب، ولعل ذلك من فعل النساخ، ولا سيما أنه قد سبق ما يفيد أن ابن سالم الأب خدم سهلاً ستين سنة.

وقد كان لأبي الحسن بن سالم أتباع وتلاميذ يحبونه ويعظمونه ويقصدونه للأخذ عنه والجلوس بين يديه[٣]، وقد كان له مسجد بالبصرة يعظ فيه ويعلم، إلا أنه كان يجعل درسًا عامًا للوعظ، ودرسًا خاصًا لمن هم خواص يفهمون إشاراته ودلالات ما يخصهم به من علم، فقد ذكر أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ) -أحد تلامذة أبي الحسن بن سالم- أنه حُدِّث عن شيخه أبي الحسن بن

(١) تفسير القرآن العظيم للتستري (ص٣٣٩).
(٢) اللمع للطوسي (ص٢٣٥).
(٣) تاريخ الإسلام (١٦١/٨)، الوافي بالوفيات (١٢/٨).

سالم أن قومًا اجتمعوا في مسجده فأرسلوا إليه بعضهم ليقول له: إن إخوانك قد حضروا ويحبون لقاءك والسماع منك، فإن أحببت أن تخرج إليهم فذاك، فقال للرسول: من هم؟ فقال: فلان وفلان وسماهم، فقال ابن سالم: ليس هؤلاء من أصحابي، هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج إليهم، قال أبو طالب المكي: وقد كان أبو الحسن بن سالم يخرج إلى إخوانه ممن يراه موضعًا لعلمه فيجلس إليهم ويذاكرهم، ولعمري إن المذاكرة تكون بين النظراء، والمحادثة تكون مع الإخوان، والجلوس للعلم يكون للأصحاب، والجواب عن السؤال نصيب العموم(١).

كما كان أبو الحسن بن سالم مقصدًا ترسل إليه المسألة من البلدان البعيدة للنظر فيها والجواب عنها، فقد ذكر أبو طالب المكي أن شيخه أبو بكر بن الجلاء كتب إلى شيخه أبي الحسن بن سالم مسألة من مسائل معاني السرائر، فرمى بالكتاب وقال: أين صاحب هذه المسألة؟ فقيل: هو غائب بمكة، فقال: أنا لا أجيب عن هذا في كتاب، قولوا له: يحضر إن أراد(٢).

وقد كان أبو الحسن بن سالم في مجالس تعليمه ووعظه واسع الصدر، وافر الأدب، لا يضيق صدره بمن يسأله ولا بمن يعترض عليه، وقد ذكر السراج الطوسي أنه كان يجري بينه وبين شيخه أبي الحسن بن سالم مناقشات واعتراضات وانتقادات منه لشيخه، ولا يؤثر هذا في أن يتغير شيخه نحوه أو ضده(٣)، ويبدو أن أصحاب أبي الحسن ورثوا منه هذا الأدب في مجالسهم حتى بعد وفاة صاحبهم، حتى إن أبا عبد الله المقدسي (صاحب كتاب أيسر التقاسيم في معرفة الأقاليم) (ت ٣٨٠هـ) يصف السالمية بأنهم قوم أصحاب رقة في

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي (٣١٦/١)، مكتبة المصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
(٢) قوت القلوب (١٥٣/١).
(٣) اللمع للطوسي (ص٤٧٢) وما بعدها.

كلامهم وتبعد مجالسهم عن الخلاف[١].

وقد كان أبو الحسن بن سالم من أهل الجد والاجتهاد في الطاعة والعبادة، وكانت تظهر على يديه الكرامات، يقول أبو طالب المكي: «وقد كان للشيخ أبي الحسن بن سالم(رحمه الله) من هذا الطريق مشاهدات ومطالعات وسياحات في الغيوب، وجريان في الأخريات، وانقلبت له الأعيان وظهر له العيان، وطوى له المكان، ورأى ألف ولي لله، وحمل عن كل واحد علمًا، ثم انقطع الطريق بعد فقده، وعفا الأثر ودرس الخبر»[٢].

وقد كان أبو الحسن بن سالم مثالاً للصوفي الصادق، الذي لا تمنعه العبادة عن عمارة الأرض وإصلاحها، والسعي على المعايش، فكان يقتات من كسبه، فقد حكى عن نفسه أنه كان له أرض يصلحها ويرعاها[٣].

هذا وقد اختلف في مذهب أبي الحسن بن سالم الفقهي، فذهب الأكثرون إلى أن مذهبه كمذهب أبيه وهو المذهب المالكي[٤]، وذهب المقدسي (ت ٣٨٠هـ) إلى أنه كان يتمذهب على مذهب الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ)[٥].

ولم يترك أبو الحسن بن سالم مؤلفًا يحوي آرائه وكلامه، لكنه ترك تلاميذ عدة نشروا تعالميه ودونوها في كتبهم حتى نقلت إلى الناس جيلاً بعد جيل، ولا زال بعض هذه الآراء منثورًا وموجودًا، وسوف نتناوله بالدراسة في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص١٢٦)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٢) قوت القلوب (١٥٢/٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم للتستري (ص٢٠١).

(٤) نشأة الفكر الفلسفي (٣٣٠/١)، موسوعة الأديان في العالم (الفرق الإسلامية) دار كرابيس أنترناشيونال، (ص١٤٩)، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، د/ إسماعيل العربي (ص٢٠١)، دار آفاق، المغرب، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٥) أيسر التقاسيم (ص١٢٦).

المبحث الثاني

سهل التستري وتأثيره في أبي عبد الله بن سالم وولده

في بلدة تُستر[١] كان مولد سهل التستري ونشأته قبل أن ينتقل إلى البصرة فيقيم فيها.

وسهل هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصوفي الزاهد، والعالم العامل، كان إمامًا ربانيًا من أعيان الشيوخ في زمانه[٢]، وقد اختلف في وفاة سهل، وأصح ما قيل في ذلك أنه توفى سنة ٢٨٣هـ[٣] وقد نص أبو البركات الجامي والذهبي أنه كان عمره يوم وفاته ثمانين سنة[٤] وعلى هذا تكون ولادة سهل سنة (٢٠٣هـ).

والذي وضع سهلاً على طريق التصوف والمجاهدة هو خاله محمد بن سوار، قال سهل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقوم بالليل فربما كان يقول لي: يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي، قال سهل: قال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت:

---

(١) بضم التاء وسكون السين وفتح التاء الثانية، من بلاد الأهواز في إقليم خوزستان التابع لمملكة الفرس قبل الإسلام. ينظر: الأنساب للسمعاني: صـ٥٢، ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، معجم البلدان، لياقوت الحموي: ١/ ٢٨٤، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: صـ٤٨، الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٢، تاريخ الإسلام: ٦/ ٧٥٦، طبقات الأولياء لابن الملقن صـ٢٣٦، نفحات الأنس: صـ٢١٣، الطبقات الكبرى للشعراني: ٦٨/١.

(٣) طبقات السلمي: صـ٤٨، نفحات الأنس: صـ٢١٤.

(٤) نفحات الأنس صـ٢١٤، تاريخ الإسلام ٦/ ٧٥٦.

كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك كل ليلة وقت النوم ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهد عليّ، ففلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة: سبع مرات، ففلت: ذلك ثم أعلمته، فقال لي: قل كل ليلة : إحدى عشرة مرة، ففلت : ذلك فوقع في قلبي حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: أحفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر؛ فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا، يا سهل: من كان الله معه وهو ناظره وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية! (١).

وقد كان سهل بن عبد الله صاحب طريقة في التصوف واضحة المعالم، تقوم على أسس وقواعد لا تخرج في مجملها عن القرآن والسنة، ولذلك كان يقول: أصولنا سبعة أشياء، التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام والتوبة، وأداء الحقوق(٢).

كما كان سهل يحدد علامات الصوفي الصادق فيقول: يلزم الصوفي ثلاثة أشياء، حفظ السر، وأداء الفرض، وصيانة الفقر، ويقول: من أخلاق الصديقين: أنهم لا يحلفون بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون، ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم، ولا يمزحون أصلاً، ويقول: عيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس في الطعام والشراب(٣).

وقد ذكر السراج الطوسي أن سبب خروج سهل من تستر إلى البصرة أنه

(١) نفحات الأنس: صـ٢١٤.
(٢) طبقات السلمي: صـ٤٩.
(٣) طبقات السلمي: صـ٤٨، ٤٩.

أفتى بأن التوبة فريضة على العبد مع كل نَفَس، وكان في الناحية رجل ينسب إلى العلم والعبادة، فهيج العامة على سهل، بعد أن كفره ونسبه إلى القبائح، حتى وثب عليه العامة، وأخرجوه من تستر، فخرج إلى البصرة، واستمر بها حتى مات في المحرم سنة ٢٨٣هـ(١).

وقد كان تأثر أبي عبد الله بن سالم وولده أبي الحسن بسهل بن عبد الله قويًا؛ ضرورة أن المريد عينه على الشيخ، والتلميذ الصادق في الطلب يتأثر بأستاذه ومعلمه في أحواله وأقواله وأعماله، وإذا كانت المخالطة والمجالسة مؤثرة فأولى بذلك من ذهب لينهل، وجلس ليعرف ثم يغرف، وقد كان ابني سالم من خدام سهل وتلاميذه كما سبق، والدليل على تأثير سهل القوى في ابني سالم ما يلي:

١- طول الخدمة والصحبة تدل على عمق التأثر بالنسبة لأبي عبد الله بن سالم، فلولا أنه كان معجبًا مشدوهًا تجاه سهل وطريقته لما لازمه هذه الفترة الطويلة خادمًا وفيًا ومريدًا صادقًا، ولما أدخل ولده معه في خدمة سهل، ولأجل هذا قال الإمام الشعراني (ت ٩٧٣هـ): «أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري صاحب سهل بن عبد الله، لا ينتمي إلى غيره من المشايخ»(٢).

٢- كثيرًا ما تجد أن عبد الله بن سالم وولده أبا الحسن يحكيان موقفا كانا فيه مع سهل أو يحكيان حالاً من أحوال سهل، أو يذكران قوله لمن حولها، بل ربما يسأل أحدهم المسألة فيكون الجواب بقول سهل بن عبد الله، مما يعني ارتضاء مذهب سهل والقناعة بطريقته.

فمثلاً يقول أبو عبد الله بن سالم: «رأيت سهل بن عبد الله فقرأ رجل من

(١) اللمع للطوسي: صـ٤٩٩، نفحات الأنس، صـ٢١٤.
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني: ١٦٦/١.

تلامذته سورة الفرقان فلما بلغ إلى قوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] اضطرب وكاد أن يسقط، فسألته عن ذلك، فقال: قد ضعفت»(١)، ويقول: «كان سهل بن عبد الله يطغى عليه الوُجْدُ حتى يبقى خمسة وعشرين يومًا أو أربعة وعشرين يومًا لا يأكل فيه طعامًا»(٢).

ويقول أبو الحسن بن سالم: سئل سهل بن عبد الله عن الحلال؟ فقال: الحلال الذي لا يعصى الله فيه(٣)، ويقول: «كنت في أرض أصلحها فرأيت سهلاً على فرش فوق ماء الفرات»(٤).

ولأجل أن كليهما كان يكثر من نقل كلام سهل قال سراج الدين ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) عن ابن سالم الأب: صاحب سهل وهو راوية لكلامه(٥)، وقال الذهبي (ت ٧٤٨هـ) عن ابن سالم (الابن): صاحب سهل التستري وحافظ كلامه»(٦)، وقد سبق ما يبين أن أبا الحسن بن سالم كان يحفظ عددًا كبيرًا من الفتاوى التي عرضت على سهل بن عبد الله بأجوبتها.

٣- الاتفاق في الآراء يدل على عمق التأثر:

عند المقارنة بين أقوال سهل التستري وأقوال أبي عبد الله بن سالم وولده أبي الحسن، نجد اتفاقًا في الآراء يعكس مدى تأثير سهل في ابني سالم، فبينما

(١) اللمع للطوسي: صـ٣٦٥.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٣٨١، وينظر: صـ٤٠٢، ٤٧٢.
(٣) اللمع للطوسي: صـ٧١.
(٤) تفسير سهل بن عبد الله: صـ٢٠١، وينظر: صـ١٤٨ ص ٢٣٠، صـ٣٣٩، اللمع للطوسي: صـ٣٩٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ٦/ ٧٥٦، طبقات الأولياء لابن الملقن: صـ٢٣٦.
(٥) طبقات الأولياء: صـ٢٣٦.
(٦) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.

يقول سهل في تعريف الصديق الذي يستحق الرياسة لابد أن تجتمع فيه أربع خصالٍ: يصرف جهله عن الناس. ويحمل جهلهم، ويترك ما في أيديهم، ويبذل ما في يده لهم[١] يقول أبو عبد الله بن سالم: «لا تنال الولاية إلا بلطف اللسان وحسن الخلق، وبشاشة الوجه، وسخاء النفس، وقلة الاعتراض، وقبول عذر من اعتذر إليك، وتمام الشفقة على جميع الخلائق برهم وفاجرهم[٢].

وبينما يقول سهل: «خيار الناس: العلماء الخائفون وخيار الخائفين المخلصون الذين وصلوا إخلاصهم بالموت رضي الله عنهم[٣] يقول عبد الله بن سالم: «يزول عن القلب ظلم الرياء بنور الإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق»[٤].

يقول سهل: لا يصح الكسب لأهل التوكل إلا لأتباع السنة، ولا لغيرهم إلا للتعاون، ويقول: من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة[٥].

ويقول أبو عبد الله بن سالم: الكسب سنة رسول الله ﷺ والتوكل حاله، وإنما استن الكسب لمن ضعف عن التوكل[٦]، ويقول سهل: «لا يصح التوكل إلا لمتق، ولا تتم التقوى إلا لمتوكل. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣][٧]، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي القائم له

(١) طبقات الصوفية للسلمي: صـ٤٩.
(٢) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٣) الطبقات الكبرى للشعراني: صـ١/ ٦٨.
(٤) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٥) اللمع للطوسي: صـ٢٥٩.
(٦) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني: ١٠/ ١٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩هـ.

بكل كفاية[١].

وكذلك جاءت آراء أبي الحسن بن سالم وأقواله تشابه وتوافق آراء سهل التستري.

يقول سهل: (الذكر: تحقيق العلم بأن الله شاهدك، فتراه بقلبك قريبًا منك فتستحي منه) ويقول أبو الحسن بن سالم: (ومن الذكر: ذكر لا يوزن ثوابه ولا يعد، وهو الامتلاء من المحبة والحياء من قربه) [٢].

ويقول سهل: (الله قبلة النية؛ والنية قبلة القلب) [٣] ويقول ابن سالم أبو الحسن (النية بالله ومن الله) [٤].

ويقول سهل: «الشيطان يفر من الجائع»[٥] ويقول: (لا ينال أحد النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والمجاهدة) [٦]، ويقول: أبو الحسن بن سالم: «إذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو، فجمحت بك النفس إلى الهلكة، وإذا منعت البطن حظه قصرت عنك كل جارحة عن حظها فاستقام لك القلب»[٧].

ولأجل عمق التشابه بين آراء سهل والسالميين (أبي عبد الله وأبي الحسن) يذهب بعض الدارسين إلى أن أصول المدرسة السالمية مأخوذة من سهل

(١) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٢٩٠.
(٣) طبقات الصوفية: صـ٤٨.
(٤) اللمع للطوسي: صـ٢٠٥.
(٥) نفحات الأنس: صـ٢١٧.
(٦) اللمع للطوسي: صـ٤٩.
(٧) قوت القلوب: ٢/ ٢٨٩، ٢٩٠، وينظر: اللمع للطوسي: صـ٢٦٩، صـ٥٢٧.

التستري[1]، ويذهب بعضهم إلى أن المؤسس الحقيقي للسالمية إنما هو سهل بن عبد الله التستري[2].

(١) معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، د/ إسماعيل العربي، صـ٢٠١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية؛ ٥٤٤٠/١٧، مركز الشارقة للإبداع الفكري ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، موسوعة الأديان في العالم: صـ١٤٩.

المبحث الثالث

الأتباع والتلاميذ

كان للسالمية انتشار وذيوع، ولاسيما زمن أبي الحسن بن سالم الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للمدرسة السالمية، فقد التف حوله الاتباع والمريدون الذين أحبوه وأعجبوا بطريقته، كما انضم في مدرسته عدد من الفقهاء والمحدثين[١] وطالبي المعرفة الصوفية، وسالكي الطريقة، ولا ريب أن هؤلاء نشروا أفكار مدرستهم وأقوال مؤسسيها، ومن هؤلاء:

١- السراج الطوسي:

أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج الطوسي، كان من الزهاد العباد، كما كان لسان حال الصوفية في زمانه، مع الاستظهار لعلوم الشريعة، والتأسي بما جاء في القرآن والسنة[٢].

ذكر شمس الدين الذهبي السراج الطوسي في تلاميذ أبي الحسن بن سالم[٣]، وقد صرح السراج الطوسي في مرات كثيرة بأخذه وسماعه من الحسن بن سالم، كما نقل كثيرًا من أراء شيخه ابن سالم[٤].

---

(١) الأنساب للسمعاني: صـ٢٤، تاريخ الإسلام ٨/ ١٦١.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣١/ ٧٥، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، تاريخ الإسلام: ٨/ ٤٥٢، الوافي بالوفيات: ١٧م ١٨٢، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي: ٤/ ١٥٣، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر: بدون تاريخ.

(٣) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٠٢.

(٤) ينظر: اللمع للطوسي: صـ٧١، ٧٦، صـ١١٢، صـ١٧٦، صـ٢٠٥، صـ٢٢٣، صـ٢٣٥، صـ٢٥٩، صـ٢٦٩، صـ٢٩٠، صـ٢٩٤، صـ٣٨١، صـ٣٩٠، صـ٣٩٤، صت ٤٠٠، صـ٤٠٢، صـ٤٧٢، صـ٤٧٣، صـ٤٧٤، صـ٤٧٦، صـ٥٢٧.

ويعتبر السراج الطوسي صاحب مدرسة التصوف في نيسابور إبان فترة طويلة من القرن الرابع الهجري، وكانت مدرسته تتخذ من الكتب منابر لبيان دعوتها وشرح رسالتها ونشر علومها وأذواقها، ويعد السراج الطوسي من أكبر المؤلفين الصوفيين، ويعتبر كتابه اللمع في التصوف الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامي، وضح فيه أسس التصوف وقواعده، وتعرض فيه لأهم قضاياه ومسائله، كما حارب فيه الأدعياء وحذر منهم ومن طريقتهم.

يقول شيخ الأزهر عبد الحليم محمود (رحمه الله): (صاحب اللمع أبو نصر السراج الطوسي هو بحق أكبر المؤلفين الصوفين وأستاذهم جميعًا بلا استثناء، اقتفى أثره الهجويري (ت ٤٦٥هـ) في كتابه «كشف المحجوب»، وتتلمذ عليه أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات (ت ٤١٢هـ)، وعلي السلمي تتلمذ عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة القشيرية (ت ٤٦٥هـ)[١].

وهذا الكلام من الدكتور عبد الحليم محمود(رحمه الله) تتضح أهميته عند استحضار أن الطوسي تتلمذ على أبي الحسن بن سالم. وهذا معناه : أن تأثير ابن سالم امتد حتى وصل إلى كبار مؤلفي الصوفية ممن جاءوا بعده، ولازالت آثارهم شاهدة باقية ترسم الطريق، وتحدد معالمه.

وبعد حياة مليئة بالمجاهدة والعبادة، وتربية المريدين ورعاية القاصدين كانت وفاة السراج القدسي في رجب سنة ٣٧٨هـ[٢].

(١) تقديم د/ عبد الحليم محمود لكتاب اللمع للطوسي: صـ٧.
(٢) تاريخ الإسلام: ٤/ ٤٥٢، الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٨٢.

٢- أبو طالب المكي:

أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، نشأ بمكة: ولزم طريقة الزهد والعبادة، وكان له لسان حلو في التصوف، اشتغل بالوعظ والإرشاد في بغداد مدة ثم تركه؛ لأنه قال كلامًا لم تتحمله عقول من سمعوه فهجروه، فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك(١).

ذكرت كتب التراجم أنه دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فدخل في أصحابه وانتمى إلى مقالته(٢).

وقد نص عفيف الدين اليافعي (ت ٧٦٨هـ) صاحب كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» على أن أبا الحسن ابن سالم أستاذ أبي طالب المكي(٣)، وعبارته لا تفيد قطعية كون أبي الحسن بن سالم أستاذًا مباشرًا للمكي، فقد يكون المقصود أنه أستاذه بواسطة.

لكن أبا طالب المكي صرح بأنه شاهد أبا الحسن بن سالم وأخذ عنه، مما يؤكد أن أبا الحسن أستاذ مباشر للمكي، ويظهر خطأ من قال: إن المكي دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، وانتسب إلى مقالته.

يقول أبو طالب المكي: (ورأيت ثلاثة من العلماء يضمون أصابعهم في التكبير منهم: أبو الحسن بن سالم، وأبو بكر الآجري (ت ٣٦٠هـ)، وأحسب أن

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي: ٧/ ١٩٠، دار صادر بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ، تاريخ الإسلام: ٨/ ٥٩٩، الوافي بالوفيات: ٤/ ٨٧، مرآة الجنان: ٢/ ٣٢٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٤/ ٤٦١، تاريخ الإسلام ٨/ ٥٩٩، نفحات الأنس: صـ٤١٠.

(٢) المنتظم: ٧/ ١٩٠، الأنساب: صـ٤١٧.

(٣) مرآة الجنان: ٢/ ٣٢٣.

أبا زيد الفقيه (ت ٣٧١هـ) كان يفرق في أكثر ظني)[١].

ويقول: «وقد كان بعض السلف يترك سباليه (وهما طرفا الشارب)، ويحفي وسط شاربه، وقد رأيت أبا الحسن بن سالم يفعل هذا)[٢].

وقد كان أبو طالب المكي رحمه الله معنيًا بنقل أقوال شيخه وأحواله في كتابه الذي ألفه في التصوف وسماه (قوت القلوب في معاملة المحبوب) [٣]، وكانت وفاة أبي طالب المكي في جمادى الآخرة من سنة ٣٨٦هـ[٤].

هذا، ويذهب بعض الدارسين إلى أن حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في الشطر الثاني من حياته تأثر بأبي طالب المكي؛ إذ وضع كتاب الإحياء على نمط كتاب قوت القلوب[٥] مما يعني تأثير ابن سالم في حجة الإسلام الغزالي.

قلت: ومما يؤكد هذا التأثير: أن حجة الإسلام ذكر في كتابه(الإحياء) عددًا من أقوال ابن سالم استشهادًا بها، وتأكيدًا على صحة مضمونها[٦]، والذي يقارن إحياء علوم الدين بقوت القلوب يدرك مدى تأثر الغزالي بالمكي.

---

(١) قوت القلوب: ٢/ ١٥٨.

(٢) قوت القلوب: ٢/ ٢٤٢.

(٣) ينظر: القوت: ١/ ٢٢٢؛ صـ٢٦٧، ٢/ ١٢٥، ١٢٦، ٢٨٩، ٢٩٠.

(٤) الأنساب: صـ٤١٧، تاريخ الإسلام: ٨/ ٥٩٦، الوافي بالوفيات: ٤/ ٨٧، شذرات الذهب: ٤/ ٤٦١.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية: ١٧/ ٥٤٤٣، نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٣٣٣.

(٦) ينظر: إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي: ١/ ٣٦، ٢/ ٣٣، ٢٦٩، ٣٠٣، ٣/ ٧٨، ٣/ ٩٥. دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣- أبو بكر بن شاذان:

أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان الرازي الواعظ، كان جوالاً كثير الأسفار يكثر في أقواله من حكايات الصوفية وأخبارهم، كما كان محبوبًا عند جماعتهم.

تتلمذ على يديه أبو نعيم الحافظ (صاحب الحلية) المتوفى (٤٣٠هـ)، وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي (صاحب طبقات الصوفية) (ت ٤١٢هـ) معجبًا به، كثير الحكاية عنه(١).

وقد ذكرت كتب التراجم أبا بكر بن شاذان في تلاميذ أبي الحسن بن سالم(٢) وقد كان ابن شاذان معنيًا بنقل أقوال شيخه ونشرها(٣).

وإذا كان ابن سالم شيخًا لأبي بكر بن شاذان وابن شاذان شيخ الحافظ أبي نعيم، فهذا يدل على أثر ابن سالم العميق فيمن بعده، وقد ذكر أبو نعيم في الحلية عددًا من أقوال ابن سالم(٤).

وكانت وفاة ابن شاذان يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة بنيسابور سنة ٣٧٦هـ(٥).

٤- معروف الزنجاني:

أبو المشهور معروف بن محمد بن معروف بن الفيض بن أيوب بن أعين بن عدي بن عبيد الله بن إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي الزنجاني الواعظ، كان

(١) الأنساب: ١٦٤، تاريخ الإسلام: ٨/ ٤٣٣، الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٥١.
(٢) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.
(٣) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.
(٤) ينظر حلية الأولياء: وطبقات الأصفياء: ١٠/ ٢٠٨، ٢٠/ ٣٧٨.
(٥) الأنساب: صـ١٦٤، تاريخ الإسلام: ٨/ ٤٣٣ مرآة الجنان: ٢/ ٣٠٥.

من أهل زنجان[١] وسكن الري[٢]، كما كانت له رواية في الحديث، يحدث في بغداد وقزوين[٣] والري، وقد تكلم في روايته[٤].

نص الذهبي(ت ٧٤٨هـ) على أنه تتلمذ على يد أبي الحسن بن سالم، وكان من أصحابه[٥] وذكر الذهبي أن وفاته كانت بين سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وسنة أربعمائة من الهجرة[٦]، وذكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) أنه حدث بالري سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[٧]، مما يرجح أن وفاته كانت بعد ذلك التاريخ.

٥- أبو علي الأهوازي:

وممن انتسب إلى السالمية أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي المقرئ، ولد سنة ٣٦٢هـ وكانت له عناية بالقراءات والحديث، وصنف التصانيف الكثيرة، توفى سنة ٤٤٦هـ[٨].

---

(١) بكسر الأول وإسكان الثاني، بلدة تابعة لإقليم أذربيجان. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الله عبد الله البكري الأندلسي: ٢/ ٧٠٣، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

(٢) مدينة قريبة من مدن إقليم خراسان . معجم ما استعجم: ٢/ ٦٩٠.

(٣) مدينة قريبة من مدينة الري. معجم البلدان لياقوت الحموي: ٤/ ٣٤٢، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٥/ ٢٧٦، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٩/ ٣٥٢.

(٥) التدوين في أخبار قزوين، لأبي القاسم القزويني: ٤/ ١٠٣، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٦) تاريخ الإسلام: ٨/ ٨٣٧.

(٧) تاريخ بغداد: ١٥/ ٢٨٦.

(٨) معجم الأدباء، لياقوت الحموي: ٢/ ٩٣٧، ت/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، تاريخ الإسلام: ٩/ ٦٧٧.

٦- أبو عبد الله الزبيدي:

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران القرشي اليمني الزبيدي الواعظ، ولد في المحرم سنة ٤٦٠هـ، كان حنفي المذهب، على طريقة السلف في الأصول، له معرفة بالنحو والأدب، وعظ في العراق وفي دمشق، كما كان يرى مذهب السالمية في بعض المسائل والقضايا، وكانت وفاته سنة ٥٥٥هـ(١).

٦- أبو الحكم بن بَرَّجَان:

وممن انضم إلى المدرسة السالمية أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي الإفريقي، المعروف بابن برجان، كانت له عناية بالتفسير والحديث وعلم الكلام، وأكثر كلامه على طريقة أرباب الأحوال والمقامات، كانت وفاته بمراكش سنة ٥٣٦هـ(٢).

وقد صرح بانتماء أبي الحكم بن سَرَّجان إلى المدرسة السالمية الدكتور علي سامي النشار وغيره(٣).

٧- وتذهب بعض الدراسات إلى أن محي الدين بن عربي (ت ٣٠٩هـ) قد أخذ كثيرًا من عباراته في الحلول من المدرسة السالمية(٤).

ولعل اعتماد أصحاب هذا الرأي على عبارة أبي منصور البغدادي (ت

(١) تاريخ الإسلام: ١٢/ ١٠٢.
(٢) شذرات الذهب: ٥/ ١٢٣، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لشهاب الدين السلاوي: ٧٧/٢، الدار البيضاء، بدون تاريخ، معجم المؤلفين لعمر رضا لحالة: ٥/ ٢٧٨، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ.
(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١/ ٣٣٣.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية: ١٧/ ٥٤٤٣، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية: صـ٢٠٢.

٤٢٩هـ) حيث قال بعد الحديث عن الحلاجية، وما نسب إلى مؤسسها من الحلول، قال: «وقبله قوم من متكلمي السالمية بالبصرة ونسبوه إلى حقائق معاني الصوفية»(١).

قلت: قبول آراء رجل لا تعني انتسابه إلى آراء من قَبِلَهُ، بل العكس هو الأولى بالقبول والاعتبار، ثم إن ابن عربي توفى سنة ٣٠٩هـ، أي في حياة أبي الحسن بن سالم (ت ٣٥٦هـ) (المؤسس الحقيقي للمدرسة السالمية)، ولم ينسب أحد ابن سالم (الابن ولا أباه) إلى الحلول مما يبعد تأثر الحلاج بالسالمية.

٨- ويذهب الدكتور علي سامي النشار إلى أن كثيرًا من آراء السالمية انتقلت إلى الطريقة الشاذلية (التي أسسها أبو الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ)، واستقرت في أفكارها(٢)، وإن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة خاصة، يقارن فيها بين أفكار المدرسة السالمية وآراء الطريقة الشاذلية لمعرفة مدى التأثر وأسبابه ووسائله.

وأيما كان الأمر فقد كان للمدرسة السالمية أثر واسع امتد بعد عصر المؤسسين بزمن طويل.

(١) الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي: صـ٢٢٨، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١٩٨٨م. وينظر: التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الإسفراييني: صـ١١٨، ت/محمد زاهد الكوثري رحمه الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي: ١/ ٣٣٣، وينظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٧/ ٥٤٤٣.

المبحث الرابع

آراء ابني سالم

تعد أفكار أبي الحسن بن سالم امتدادًا لأفكار أبيه وتعاليمه، وأفكار الرجلين في الجملة متكاملة ومتعاضدة، ولاشك أن دراسة الأفكار توضح كثيرا عن الرجلين، وعن المدرسة في بكورها الأولى.

وقد رأيت أن أقسم الآراء إلى قسمين: الآراء الكلامية، والآراء الصوفية، على أن أذكر الرأي منسوبًا إلى قائله (الأب أو الابن)، وما كان من تعاضد في الآراء بنيته، ولا يفوتني أن أقارن الآراء بما عليه أهل السنة والجماعة؛ لبيان قرب المدرسة أو بعدها من أهل السنة والجماعة.

أولاً: الآراء الكلامية:

*** أركان الإيمان:**

أركان الإيمان بالله_ تعالى_ ستة، منصوص عليها في القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال رسول الله ﷺ: **«الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خير وشره»**(١).

وأبو الحسن بن سالم(رحمه الله) يقرر أن أركان الإيمان أربعة: (الإيمان بالقدر، الإيمان بالقدرة، التبري من الحول والقوة، الاستعانة بالله في جميع

(١) صحيح مسلم، ك/ الإيمان، ب/ معرفة الإيمان والإسلام حديث رقم (١)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

الأشياء)، وذلك قول السراج الطوسي: سمعت ابن سالم يقول: «الإيمان أربعة أركان: ركن منه الإيمان بالقدر، وركن منه الإيمان بالقدرة، وركن منه التبري من الحول والقوة، وركن منه الاستعانة بالله في جميع الأشياء»(١).

ومراده بالإيمان بالقدرة طلاقة القدرة، وأنها لا تعجز عن شيء(٢).

وبالتأمل في الكلام السابق يتضح أن الأركان محصورة في الإيمان بالله وبالقدر؛ لأن القدرة والتبري من الحول والقوة والاستعانة بالله في جميع الأحوال راجعة إلى الإيمان بالله تعالى.

ولا يعني ذلك نفي أركان الإيمان الأخرى، وإلا كان ذلك كفرًا، بل ورد عن ابن سالم ما يؤكد إثباته لباقي أركان الإيمان: فهو يعقد مقارنة بين الملائكة والبشر(٣)،ويتكلم في الثواب والعقاب، وكلاهما من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر(٤)، ويخالف من يخرج عن تعاليم الكتاب والسنة(٥).

لكن أبا الحسن بن سالم حصر أركان الإيمان في الإيمان بالله وبالقدر؛ لأن الإيمان بالقدر ثمرته الرضا والتسليم وعدم الاعتراض، والتبري من الحول والقوة اعتماد على رب الأسباب لا على الأسباب، وهذا هو سبيل الاستعانة بالله تعالى في جميع الأمور والأحوال، ولم لا يستعين بالله من قوى يقينه، وملأ جوارحه أن له سبحانه القدرة المطلقة التي تسير كل شيء، وبها يتحقق كل شيء؟

(١) اللمع للطوسي: صـ٣٩٠.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٣٩٠.
(٣) المعارضة والرد: صـ٧٦.
(٤) اللمع للطوسي صـ٢٩٤.
(٥) اللمع للطوسي: صـ٢٢٣.

فاهتمام أبي الحسن بن سالم بهذين الركنين إنما هو تعبير عن حالته الخاصة، التي ملخصها: أن قلبه مليء بالرضا وعدم الاعتراض، مع الاعتماد التام والتسليم المطلق لله في كل الأمور، وتلك ثمرة الإيمان الصحيح بجميع أركان الإيمان، فلا تعارض بين كلام ابن سالم وما هو ثابت معلوم من أن أركان الإيمان ستة، فكلام ابن سالم في الجملة لا يخرج عن كونه تعبيرًا خاصًا عما يجول في خاطره وقلبه، غير متقيد فيه بأركان الإيمان المنصوص عليها، وتلك حالة عدد كبير من كبار الصوفية، لهم عبارات خاصة في تحديد مسمى الإيمان وأركانه،لا تتعارض مع ما ورد من نصوص(١).

*** الفرق بين الأمر والإرادة:**

يختلف رأي أهل السنة عن رأي المعتزلة في قضية عموم إرادة الله تعالى، فمذهب أهل السنة: أن إرادة الله عامة، تشمل كل الأشياء خيرًا كانت أو شرًا، فليس شيء واقع إلا بإرادة الله تعالى، فـ(ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) (٢).

ومذهب المعتزلة: أن إرادة الله تعالى لا تتعلق إلا بالخير، فهو سبحانه

(١) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي: صـ١٠٠، ت/محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، ك/ الأدب، ب/ ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (٧٠٧٥) ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت بدون تاريخ، والنسائي في السنن الكبرى، ك/ عمل اليوم والليلة، ب/ ذكر ما كان النبي ﷺ إذا أصبح، رقم (٩٧٥٦)، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، وينظر في بيان رأي أهل السنة: التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي: صـ١١٢، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢٠٠٦م شرح لمع الأدلة لابن التلمساني: صـ١٣٩، ت/ د/ السيد محمد عبد الوهاب، دار الحديث، ط ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، إشارات المرام من عبارات الإمام، للعلامة كمال الدين البياضي الحنفي: صـ١٥٥، ت/ د. يوسف عبد الرزاق، مصطفى البابي الحلبي ط١، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

يريد الخير ولا يريد الشر(١).

ويرجع الخلاف في هذه القضية إلى الخلاف في كون الأمر يستلزم الإرادة أو لا، فمذهب المعتزلة: أن الأمر يستلزم الإرادة، فإذا أمر الله بشيء فقد أراده، وإذا نهى عن شيء فقد كرهه ولم يرده، وقد أمر الله بالخير ولم يأمر بالشر قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فإذًا الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر، وعند المعتزلة القول بأن الله تعالى يريد الشر ولا يأمر به وقوع في التناقض؛ إذ كيف يقع ما لا يأمر به؟(٢).

ومذهب أهل السنة: أن الأمر غير الإرادة ولا يستلزمها، فقد يريد الله تعالى ويأمر كإيمان من علم الله منهم الإيمان، فإنه تعالى أراده منهم وأمرهم به، وقد لا يريد ولا يأمر كالكفر من هؤلاء فإنه تعالى لم يرده منهم ولم يأمرهم به، وقد يريد ولا يأمر كالكفر الواقع ممن علم الله منهم عدم إيمانهم، وكالمعاصي فإنه أراد ذلك ولم يأمر به، وقد يأمر ولا يريد كإيمان من علم الله منهم الكفر فإنه أمرهم به ولم يرده منهم، فالإرادة أعم من الأمر من جهة أنها توجد ولا أمر، والأمر أعم من الإرادة من جهة أنه قد يكون ولا إرادة، وليس واحد منهما يلزم الآخر(٣).

وعلى مذهب أهل السنة لا يلزم التناقض في قولنا: الله يريد الخير والشر،

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: صـ٤٥٧، ت/ د عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) شرح الأصول الخمسة: صـ٤٥٨ وما بعدها.

(٣) غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي: صـ٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري: صـ٧٥ ط/ المعاهد الأزهرية ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

يريد الخير ويأمر به، ويريد الشر ولا يأمر به، لأن الأمر لا يستلزم الإرادة(١).

ويرى أبو الحسن بن سالم أن الأمر غير الإرادة، وأن الله تعالى قد يأمر بما لا يريده، وقد يريد ما لا يأمر به؛ ذلك لأن للإرادة عنده طرفين: طرف من ناحية الشرع أي تعلقها بالأمر والنهي، وطرف من ناحية الحدوث والفعل، فإذا أمر الله تعالى بالشيء فقد أراده شرعًا وإذا وقع فقد أراده كونًا وفعلاً، وإذا نهى الله عن الشيء فقد أراد عدم وقوعه شرعًا، وإذا وقع ذلك الشيء فإن الله أراد وقوعه فعلاً وكونًا، وإذا نهى الله عز وجل عن شيء لم يقع فإن الله تعالى أراد عدم وقوعه شرعًا وكونًا.

قال أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ): وقد فرق عالمنا –يقصد أبا الحسن بن سالم– بين الأمر والإرادة فرقًا لطيفًا، فقد سئل عن أمر الله إبليس بالسجود لآدم: هل أراد منه ذلك أم لا؟ فقال: أراده ولم يرده منه، يعني أراده شرعًا وإظهارًا وعليه إيجابًا، ولم يرده منه وقوعًا ولا كونًا، إذ لا يكون إلا ما أراد الله تعالى، إذ لو أراد كونه لكان، ولو أراده فعلاً لوقع، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فقد كان الأمران معًا إرادته بالتكليف والتعبد وإرادته بألا يسجد، فلم يقدر من أن يمتنع من أن لا يسجد، وكذلك القول في نهيه لآدم ﷺ عن أكل الشجرة، فإنه أراد الأكل منه ولم يرد له، أي أراده وقوعًا وكونًا لأنه قد وجد وكان، ولم يرده شرعًا ولا أمرًا؛ لأنه لم يأمره به ولا شرعه له، وكذلك القول

(١) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام لأبي الفتح الشهرستاني: صـ٢٥٤ ت/ الفرر جيوم،مكتبة زهران، القاهرة، بدون تاريخ، أبكار الأفكار لسيف الدين الآمدي، ١/ ٣٠٥ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الكامل في أصول الدين لابن الأمير: ١/ ٤٠٨ ت/ جمال عبد الناصر عبد المنعم، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، المسامرة في شرح المسايرة للكمال ابن الهام: ٢/ ٢، المكتبة الأزهرية للتراث،ط١، ٢٠٠٦م.

في كل ما أمر الله به وأراده، إنه أراد الأمر والنهي لهم، ليكونوا مكلفين متعبدين، ولم يرده ممن لم يكن منه الائتمار والانتهاء، فلما لم يكن الأمر من العاصين علمنا أنه لم يرده، إذ لو أراده كان، ولما كان النهي من المأمورين علمنا أنه أراد كونه، إذ لو لم يرده لم يكن، فصار كون الشيء دليلاً على إرادته، وهذا أصل الابتلاء وظهور البلاء، يأمر الله بالشيء ويريد كون ضده، وقد أراد الأمر به حسب، وينهى عن الشيء ويريد كونه، وقد أراد النهي عنه فقط، وقد كان عالمنا أبو الحسن رحمه الله يتكلم في علم الأمر والخير بمعان لا يهتدي إليها اليوم(١).

فالإرادة عند أبي الحسن بن سالم لا تلازم الأمر، والأمر لا يلازم الإرادة، لكنها تلازم الفعل فإذا وقع الشيء وكان، فهذا دليل كونه مراد الله تعالى.

وهو في ذلك لم يخرج عن مذهب أهل السنة والجماعة، فعندهم أن الإرادة تلازم العلم فما علم الله أن يوجد أراد أن يوجد، سواء أمر به أم لم يأمر، وما علم ألا يوجد لم يرد أن يوجد سواء أمر به أو لم يأمر، والفعل والوقوع دليل الإرادة(٢).

وقريب من تقسيم الحسن بن سالم الإرادة إلى كونية وشرعية قول سيف الدين الآمدي (ت ٦٣١هـ): «وأما الإرادة فإنها قد تتعلق بالتكليف من الأمر والنهي، وقد تتعلق بالمكلف به أي بإيجاده أو إعدامه، فإذا قيل: إن الشيء مراد فقد يراد به أن التكليف به هو المراد لا عينه ولا ذاته، وقد يراد به أنه في نفسه مراد أي إيجاده وإعدامه، فعلى هذا ما وصف بكونه مرادًا ولا وقوع له فليس المراد إلا إرادة التكليف به فقط، وما قيل: إنه غير مراد فليس المراد به إلا أنه لم يرد التكليف به فقط»(٣).

---

(١) قوت القلوب: ١/ ٢٦٠.

(٢) شرح قاسم بن قطلوبغا للمسايرة في علم الكلام: ٢/ ٤ مطبوع على هامش المسامرة في شرح المسايرة لابن أبي الشريف المقدسي، المكتبة الأزهرية، ط١، ٢٠٠٦م.

(٣) أبكار الأفكار: ١/ ٢٣٦ وينظر: إشارات المرام: صـ١٥٥.

*** تعلق صفة البصر:**

مذهب أهل السنة: أن الله تعالى يبصر ويرى، وأن البصر صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى، تتعلق بالموجودات دون المعدومات، فلا تتعلق صفة البصر بالمعدوم إلا بعد وجوده، ولا يلزم نقص فيها لعدم التعلق بالمعدومات كعدم تعلق السمع بالألوان، ولا يلزم التغير في الصفة نفسها عند تعلقها بالموجودات.

ولا يلزم من قدمها قدم المبصرات، كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات؛ لأنها صفة قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث بعد وجودها[1] ويرى أبو عبد الله بن سالم أن الله تعالى ثابتة له صفة البصر، وأنها صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، غير أنه يقول: إن الله ناظر في الأزل على جميع الأشياء[2] والأخذ بظاهر عبارة أبي عبد الله بن سالم هذه يوصل إلى القول بقدم العالم ؛ ضرورة أن الأشياء مبصرة ومرئية في الأزل، أو يُوصل إلى القول بأن المعدومات تدرك وترى، وهذا محال[3]، إلا أن تحمل عبارته على أنه يقصد بذلك أن الله عالم بجميع الأشياء أزلا قبل وجودها، وقد فسر الشيخ أبو البركات الجامي (ت ٨٩٨هـ) عبارة ابن سالم السابقة على معنى العلم[4] .

وقد اختلف العلماء في كون صفة البصر ترجع إلى العلم أو هي صفة زائدة عنه، فمذهب جمهور أهل السنة: أن صفة البصر زائدة عن العلم، وذهب

---

(١) شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني: صـ٥٨، ت/ طه عبد الرءوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، شرح الفقه الأكبر لملا على القارئ: صـ٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، إشارات المرام: صـ١٣٦.

(٢) نفحات الأنس من حضرات القدس: صـ٤٠٧.

(٣) ينظر: أبكار الأفكار: ١/ ٣٢٥.

(٤) نفحات الأنس من حضرات القدس: صـ٤٠٧.

بعض أهل السنة وأبو الحسين البصري (ت ٤٣٦هـ) وأبو القاسم الكعبي (ت ٣١٩هـ) من المعتزلة إلى القول برجوع صفة البصر إلى صفة العلم على معنى أنها نوع إدراك.

لكن من ذهب إلى هذا القول من أهل السنة يقرر أن إثبات صفة العلم إجمالاً لا يغني في العقيدة عن إثبات صفة البصر بلفظها الوارد في الكتاب والسنة؛ لأنا متعبدون بما ورد فيها(١).

فما ذهب إليه أبو عبد الله بن سالم لا يخرج في مجمله عن كون البصر يرجع إلى العلم، ويبعد أن يكون قصده من ذلك القول بقدم العالم، والذي يؤكد ذلك أن أحدًا ممن كتب عنه لم يشر إلى كونه يقول بقدم العالم، لا من قريب ولا من بعيد، بل السالمية حتى بعد ابن سالم لم ينسب إليها هذا القول.

إلا إن عبارة الشيخ جاءت موهمة، والأولى في العقائد الابتعاد عن العبارات الموهمة، فقد يتكلم المرء بعبارة معناها صحيح؛ إلا أن سامعها أو قارنها لا يفهم منها المعنى الصحيح، فيظن بالقائل الظنون، وهذا ما حمل الذين كانوا في مجلس أبي عبد الله بن سالم عند سماع عبارته أن يتركوا مجلسه(٢).

*** الثواب والعقاب:**

مذهب جمهور أهل السنة: أن الثواب والعقاب أو العذاب والنعيم يقعان على الروح والجسد معًا، خلافًا لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) من أهل السنة، والصالحي من المعتزلة، وعبدالله بن كرّام (ت ٢٥٦هـ) حيث قالوا: إن الثواب والعقاب يقعان على الأجساد دون الأرواح، وخلافًا لأبي محمد بن حزم الظاهري

(١) نهاية الإقدام: صـ٣٤٥، شرح المواقف للشريف الجرجاني: ت/ د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. المسامرة في شرح المسايرة: ١/ ٧١.
(٢) نفحات الأنس من حضرات القدس: صـ٤٠٧.

(ت ٤٥٦هـ) حيث ذهب إلى أن الثواب والعقاب إنما هو روحاني وليس جسمانيًا[١].

ويذهب أبو الحسن بن سالم مذهب جمهور أهل السنة، فيقول بإثبات الثواب والعقاب على الأرواح والأبدان جميعًا محتجًا بأن الطاعة والمعصية إنما صدرت من الروح والبدن معًا، فالعدل أن يقع الجزاء ثوابًا أو عقابًا على كل.

يقول السراج الطوسي: «سمعت ابن سالم، وقد سئل عن الثواب والعقاب يكون للروح والجسد أو للجسد وحده؟ فقال: الطاعة والمعصية لم تظهر من الجسد دون الروح، ولا من الروح دون الجسد، حتى يكون الثواب والعقاب على الجسد دون الروح أو على الروح دون الجسد»[٢].

ثم يتفرع أبو الحسن بن سالم للحكم على آراء شاذة تتصل بالروح منها:

القول بتناسخ الأواح: وحقيقته عند القائلين به: رجوع الروح بعد موت البدن إلى العالم الأرضي متلبسة بجسد جديد.

يقول سيف الدين الأمدي (ت ٦٣١هـ) في بيان حقيقة القول بالتناسخ: والتناسخية يقولون بوجوب بقاء الأنفس بعد مفارقة الأبدان، كما أنهم يزعمون أنه لا قوام لها بعد مفارقة بدنها إلا ببدن آخر، كما أنه لا وجود لها قبل البدن، فالأبدان تتناسخها أبدًا سرمدًا، وعلى حسب عملها يكون ما تنتقل إليه... وهكذا لا تزال في الانتقال والارتفاع والانخفاض، وليس ثم حشر ولا معاد ولا جنة ولا

(١) أبكار الأفكار: ٣/ ٢٥٣، الكامل في أصول الدين: ٢/ ٨٠٩، شرح الفقه الأكبر: صـ١٧٤، شرح البيجوري: صـ١٦٦، الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة: د/ محمد سيد أحمد المسير، صـ١٣٠ دار المعارف، ط٢، ١٩٨٨م.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٢٩٤.

نار»[1]، فالثواب والعقاب عند التناسخية إنما هو في هذه الدار، لا في دار أخرى لا عمل فيها[2].

ومنها: القول بقدم الروح، والذي يقول به الفلاسفة حيث يرون أن النفس جوهر مجرد هبط إلى البدن من العالم العلوي، وهي أزلية بناء على رأيهم في العالم[3].

ويحكم أبو الحسن بن سالم على من يقول بالتناسخ أو بقدم الروح بأن ذلك ضلال مبين وخروج عن الصراط المستقيم، يقول ابن سالم: «ومن قال في الأرواح بالتناسخ والتنقل، والقدم، فقد ضل ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا»[4].

*** المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:**

اتفق أهل السنة على أن الملائكة (عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)، ثم اختلفت كلمتهم في المفاضلة بين عوام الملائكة وصالحي البشر، فطريقة الأشاعرة: أن الملائكة أفضل من صالحي البشر، ذلك لأنهم يقولون: أفضل الخلق هو محمد ﷺ، ثم الرسل والأنبياء عليهم السلام، ثم الملائكة الكرام، ثم صالحو البشر، وطريقة الماتريدية: أن صالحي البشر أفضل من عوام الملائكة، ذلك لأنهم يقولون: أفضل الخلق محمد ﷺ، ثم الرسل والأنبياء، ثم خواص الملائكة، ثم صالحو البشر، ثم عوام الملائكة، يقول أبو اليسر البزدوي (ت ٤٩٣هـ): «وعامة بني آدم المسلمون الأتقياء أفضل من عامة

(١) غاية المرام في علم الكلام: صـ٢٥٤.
(٢) الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة: صـ٢٠٤.
(٣) الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة: صـ٦٨.
(٤) اللمع للطوسي: صـ٢٩٤.

الملائكة، وأما العامة من بني آدم فلا يكونون أفضل من رسل الملائكة بل رسلهم أفضل»[1].

وذهب القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) وأبو عبد الله الحليمي (ت ٤٠٣هـ) من أهل السنة إلى مثل ما ذهب إليه المعتزلة من أن الملائكة أفضل من جميع البشر، بما في ذلك الأنبياء والمرسلون[2].

ويذهب أبو الحسن بن سالم إلى القول بأن صالحي البشر أفضل من عوام الملائكة؛ حيث إن الله تعالى جعل بين البشر والملائكة شبها في كون البشر مركب فيهم العقول التي تمنع من ركوب المعاصي والمهالك كما أن الملائكة عقول خالصة، كما جعل الله بين البشر والبهائم شبهًا حيث ركب فيهم الشهوة التي تسوقهم إلى المعاصي والمساوي كما أن البهائم شهوة بلا عقل، ويقرر ابن سالم أن الإنسان إذا غلب عقله على شهوته وجعل عقله هو الحاكم عليها، فقد صار في حال أحسن من حال الملائكة المجرد من شهوة تمنعهم أو تدفعهم، كما يقرر أن الإنسان إذا استحكمت فيه الشهوة حتى ألغت عقله أو كادت فإنه يصير في منزلة أدنى من منزلة البهائم، وذلك قوله – يحكى أن ذلك مما تعلمه من شيخه التستري– «خلق الله عز وجل الملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق بني آدم بعقل وشهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقل، فمن غلب عقله شهوته كان أفضل من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله كانت البهائم خيرًا منه»[3].

---

(١) أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: صـ٢٠٨، ت د/ هانز بيترلنس، المكتبة الأزهرية، ط ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م وينظر: شرح العقائد النسفية: صـ١٥٩، شرح المواقف: ٣/ ٤٥٨، شرح المقاصد: ٣/ ٣١٩، شرح البيجوري على الجوهرة: صـ١٤٩– ١٥٣.

(٢) أصول الدين للبزدوي: صـ٢٠٨ شرح العقائد النسفية: صـ١٦٠، شرح المواقف: ٣/ ٤٥٨، شرح المقاصد: ٣/ ٣٢١.

(٣) المعارضة والرد: صـ٧٦.

وبنحو ما ذهب إليه أبو الحسن بن سالم يؤيد السعد التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) والشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) مذهب أهل السنة والجماعة في كون الأنبياء أفضل من الملائكة الكرام(١).

فأبو الحسن بن سالم لم يخرج في رأيه عن قول لأهل السنة والجماعة، لكن تبقى القضية كما قال أبو اليسر البزدوي: «والصحيح ألا نشتغل بالتفضيل، ففي كل موضع لم يرد النص ولا الإجماع في التفضيل نمتنع عن التفضيل»(٢) وكما قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ): «ليس تفضيل البشر على الملك مما يجب اعتقاده، ويضر الجهل به، والسلامة في السكوت عن هذه المسألة، والدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير دليل قاطع دخول في خطر عظيم، وحكم في مكان لسنا أهلاً للحكم فيه»(٣).

*** إثبات الكرامات:**

يؤمن جمهور أهل السنة بأن الله تعالى يجري الكرامات على يد من شاء من عباده الصالحين(٤).

وأبو عبد الله بن سالم يؤمن بإثبات الكرامات، ويرى أنها راجعة إلى فضل الله تعالى لا إلى ذات الولي، فيقول: «من عامل الله على رؤية السبق ظهرت

(١) شرح المقاصد ٣/ ٣٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، شرح المواقف: ٣/ ٤٥٩.
(٢) أصول الدين للبزدوي: صـ٢٠٩.
(٣) شرح البيجوري: صـ١٥١.
(٤) أصول الدين لأبي منصور البغدادي: صـ٢٠٩، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي: صـ٨٢، التعرف لمذاهب أهل التصوف: صـ٨٧.

على يديه الكرامات»[1].

ويرى أبو الحسن بن سالم أن من الإيمان الإيمان بالقدرة الإلهية وطلاقتها، وأن ذلك يقتضي إثبات الكرامات والإيمان بها، وذلك قوله: «الإيمان بالقدرة – أن تؤمن– ولا ينكر قلبك– بأن يكون لله عبد بالمشرق، ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القدرة وما يتقلب من يمينه على يساره حتى يكون بالمغرب»[2].

كما كان يرى أبو الحسن بن سالم أن جريان الكرامات على أيدي الأولياء نوع من التربية الإلهية لهم، فقد قال لمن سأله عن معنى الكرامات؟ أكرموا بأن يجعل الله لهم الحجارة، ذهبًا، وما أعطاهم ذلك لقدرهم، ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم، فيقولوا: الذي يقدر على أن تصير لك الحجارة ذهبًا كما هو ذا تنظر إليه، أليس بقادر على أن يسوق إليك رزقك من حيث لا تحتسب؟، فيحتجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق، ويقطعوا بذلك حجج أنفسهم، فيكون ذلك سببًا لرياضة أنفسهم وتأديبًا لها[3].

كما كان أبو الحسن بن سالم يحكي في مجالس وعظه كرامات الصالحين[4]، وحكى أبو طالب المكي أنه كانت تجري على يديه الكثير من الكرامات[5].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني: ١٠/ ٣٧٨، دار السعادة، مصر، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٣٩٠.
(٣) اللمع للطوسي: صـ٣٩٤.
(٤) تفسير سهل: صـ٢٠١، اللمع: صـ٤٠٠– ٤٠٢، الرسالة القشيرية: ٢/ ٥٣٤.
(٥) قوت القلوب: ٢/ ١٥٢.

فأبو عبد الله بن سالم وولده أبو الحسن يثبتان الكرامات ولا ينكرانها.

هذا، ولم أجد لأبي عبد الله بن سالم وولده أبي الحسن آراء غير هذه في علم الكلام، رغم طول البحث.

*** ثانيًا: الآراء الصوفية:**

*** علامة الأولياء ومحاربة الأدعياء:**

الطريق الصوفي – كغيره– سلكه من ليس من أهله، ممن لم يتحققوا بآدابه، ولم يترسموا معالمه الصحيحة، ولكنهم اكتفوا بالمظاهر والادعاءات، التي كانت سببًا في نفرة البعض من هذا الطريق، ولصق الاتهامات إلى كل سالك بحق أو بغير حق.

ولقد أحس الصوفية الصادقون بخطورة هؤلاء الأدعياء وتبعة انتسابهم إلى المدرسة الصوفية، فقاموا بثورة عليهم، محذرين من الانخداع بادعائهم، فوضعوا ضوابط للصوفي الصادق، والولي الحق، تميزاً للغث من السمين والمحق من المبطل، وقد كان سهل التستري (ت ٣٨٣هـ) رحمه الله شديد التحذير من الأدعياء والبطالين، فقد شغل هذا الأمر حيزًا كبيرًا من تعاليمه مما كان سببًا في انقلاب هؤلاء الأدعياء عليه، وتأليبهم الناس ضده حتى أخرجوه من البصرة مرات[1].

(١) ينظر: تقديم د/ محمد كمال جعفر لكتاب المعارضة والرد لسهل التستري: صـ٢٢.

يقول سهل التستري في بيان الصديقين: «غيرّ ألوان الصديقين العلم والورع والإخلاص، فالخوف أرضهم، والرجاء بنيانهم، والحب سقفهم، والجوع طعامهم والأثرة لباسهم، والأنس أوطانهم والذكر كلامهم والنصيحة حديثهم، والإنصاف جُنتهم، والصدق نهمتهم، والشكر دأبهم والرضا راحتهم والشغل بالله مواظبتهم»(١).

ويقول في محاربة الأدعياء: «ولا أعرف في الدنيا قومًا أروح أبدانًا من الذين يدعون هذا الطريق، هم في روح وسرور؛ لأنهم أسقطوا من أنفسهم العبودية، واستراحوا فلا ضربًا في الأرض يضربون، ولا محرك يحركهم، يتكلمون في وجدان القلوب ويتلذذون به، ويكذبون ويغتابون ويفجرون ولا يبالون فضلوا وأضلوا(٢).

وقال: «اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين»(٣).

ولقد تشبع أبو عبد الله بن سالم من منهج أستاذه وتعاليمه، وورثها سلوكًا وفكرًا ومنهاجًا، فتراه يضع ضابطًا يميز فيه بين الولي والدعي، يقوم هذا الضابط على جانبين:

الجانب الأول: أن الولي الصادق والصوفي الحقيقي لا يتكلم عن حاله، ولا يدعي أمرًا ليس متحققًا فيه، ولا يعنيه هذا الأمر، بل حاله يعبر عن واقعه وحياته.

والجانب الثاني: أن الصوفي الصادق والولي المتين هو صاحب الخلق

(١) المعارضة والرد: صـ١١٥.
(٢) مقدمة المعارضة والرد: صـ٢٣.
(٣) اللمع للطوسي: صـ٢٣٧.

الحسن والسلوك الطيب الذي يسع جميع الخلق أبرارًا وفجارًا عصاة ومذنبين، يقول أبو عبد الله بن سالم، وقد سئل: بماذا يعرف الأولياء في الخلق؟ فقال: «بلطف لسانهم، وحسن أخلاقهم وبشاشة وجوههم، وسخاء أنفسهم، وقلة اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذر إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلائق برهم وفاجرهم»(١)، ولا يخفى أن أبا عبد الله بن سالم يرسم طريقًا يميز الصادق من الكاذب فيما بين الناس، وهذا الطريق في حقيقته انعكاس لحال الصوفي فيما بينه وبين الله تعالى.

وقد أكد على هذا المعنى الذي ذكره ابن سالم صوفية آخرون، يقول أبو محمد الحريري (ت ٣١١هـ): التصوف: هو الدخول في خلق سني والخروج من كل خلق دنيء.

ويقول محمد بن عليّ القصاب (ت ٢٧٥هـ): «التصوف: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام»(٢).

وقال أبو عبد الله السجزي (ت ٣٠٠هـ): «علامة الأولياء ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة»(٣).

*** الطريق إلى محبة الله والأنس به:**

محبة الله هي روح الإيمان والأعمال، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا -بدونها- أبدًا واصليها، ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر

(١) طبقات الصوفية: صـ١٠١، نفحات الأنس من حضرات القدس: صـ٤٠٨.
(٢) الرسالة القشيرية: ٢/ ٤٤١، .
(٣) طبقات السلمي: صـ٦٠.

نصيب، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق أن المرء مع من أحب.

وبين المحبة والأنس ارتباط وثيق، وحبل متين، فالمحبة كالشجرة، والأنس كالثمرة، فهي سابقة عليه، وهو لها تابع لا يوجد بدونها[١].

والمحبة لا تعرف بتعريف أوضح من كونها محبة، فعلى حد قول ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ): «الحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس – في تعاريفهم– عن أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة»[٢].

وأما الأنس فقد عرفه السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ) بأنه: الاعتماد على الله والسكون إليه، والاستعانة به»[٣] وعرفه حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بأنه: استبشار القلب فرحًا بالقرب من الله تعالى وبمطالعة الجمال»[٤].

وقد تكلم أبو عبد الله بن سالم عن المحبة والأنس مبينًا طريقها والسبيل إليهما، ومتحدثًا عن آثارهما، فبداية طريق المحبة عند أبي عبد الله بن سالم هو مشاهدة نعم الله وآلائه، واستحضارها واستشعار عظمتها، ولذلك يقول: «رؤية المنة مفتاح التودد»[٥] أي رؤية نعم الله وآلائه مفتاح محبته والتودد إليه.

يقول السراج الطوسي: «وحال المحبة إنما يكون لعبد نظر بعينه إلى ما

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٩٢، ٤٥٢، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية: ٣/ ٧٥ دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٩.
(٣) اللمع: صـ٩٦.
(٤) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤٥٢.
(٥) طبقات السلمي: صـ١٠١، نفحات الأنس من حضرات القدس: صـ٤٠٩.

أنعم الله به عليه»[1].

ويقول حجة الإسلام الغزالي: «لو عرف – السالك– حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط، «فإذا كان في الطبع حب المحسن فينبغي ألا يحب العارف إلا الله تعالى»[2].

ويقول ابن قيم الجوزية: من الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته[3]، كما أن طريق الأنس بالله تعالى عند أبي عبد الله بن سالم لا يكون إلا بمخالفة النفس لطباعها، وتهذيبها بالصبر على مخالفتها، ولذا يقول: «من صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أنسه»[4]، وابن سالم في رسمه الطريق إلى الأنس بالله تعالى يشير إلى أمر هام هو أن الأنس بالله لا يتوصل إليه بمجرد مخالفة النفس،بل لابد من الصبر على ذلك حتى تألف النفس الطاعة وتنقاد لذلك، وإلا فبدون الصبر لا طاعة ولا انس.

وقريب مما ذكره ابن سالم ما ذكره حجة الإسلام الغزالي أنه قيل لبعضهم: متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله؟ قال: إذا صفا الود وخلصت المعاملة، فقيل: متى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار همًا واحدًا في الطاعة[5] ومعلوم أن الطاعة لا تكون ولا تستقيم إلا بمخالفة هوى النفس.

وإذا وصل السالك – عند أبي عبد الله بن سالم– إلى مقام الأنس بالله

(١) اللمع: صـ٨٦.
(٢) إحياء علوم الدين: ٤/ صـ٤٠٢، ٤٠٤.
(٣) مدارج السالكين: ٣/ ١٨.
(٤) طبقات السلمي: صـ١٠١.
(٥) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤٥٣، وينظر: منهاج القاصدين لنجم الدين أبي العباس ابن قدامة المقدسي: صـ٣٥٢، دار البيان، دمشق، ط ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

تعالى فإنه لا يحب أن يجالس أحدًا من الخلق، لأنهم سيشغلونه عمن هو آنس به ومطمئن إليه قال ابن سالم: «العاقل من زهد في صحبة أبناء الدنيا، فإنهم إن لم يشغلوه بها شغلوه عما هو فيه»(١).

ويقول السراج الطوسي: «والأنس بالله لعبد كملت طهارته واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، فعند ذلك أنسه الله به»(٢) ويقول حجة الإسلام الغزالي: علاقة الأنس: ضيق الصدر من معاشرة الخلق، والتبرم بهم، فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة، مخالط بالبدن، منفرد بالقلب، مستغرق بعذوبة الذكر(٣).

ويقول أبو العباس ابن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ): «الأنس بالله يلازمه التوحش من غيره، ويكون أثقل الأشياء على القلب كل ما يعوق عن الخلوة»(٤).

*** كيفية الوصول إلى الرعاية الإلهية:**

الوصول إلى الرعاية الإلهية مقصد السالكين، وغاية المريدين، فإن من استدركته العناية والرعاية وهبت عليه ريح الهداية شغل ظاهره بوظائف العبودية، وباطنه بشهود الربوبية، فكان في الظاهر ممتثلاً لأمر ربه، وفي الباطن مستسلمًا لقهره، فصار يعظم ما عظم مولاه، ولا يستحقر شيئًا من أسباب محبته ورضاه(٥).

والرعاية الإلهية والعناية الربانية تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده،

(١) طبقات السلمي: صـ١٠١.
(٢) اللمع: صـ٩٦.
(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٤٥٣.
(٤) منهاج القاصدين: صـ٣٥٢.
(٥) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لأبي العباس أحمد بن عجيبة: صـ٢٦٥: دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

فتقويه على ما فيه صلاحه، وتفتره عما فيه فساده[١].

ومن أعظم النعم على العبد أن تصحبه الرعاية في جميع أحواله إلى أن يلقى الله تعالى[٢].

ويقرر أبو عبد الله بن سالم أن الرعاية لها جانبان لا يتوصل إلى الثاني إلا بعد تحقيق الأول:

الجانب الأول: من جهة العبد وهو مراعاة ما يأمر الله به وينهى عنه، ومراعاة إصلاح النفوس وإعمار القلوب وحفظ الأوقات، ولا يصل الإنسان إلى تحقيق هذا الجانب إلا بالمجاهدة والاجتهاد.

والجانب الثاني: من جهة الله تعالى، فمن حقق المراعاة لحدود الله تعالى وأوامره شملته الرعاية الربانية، ومن شملته رعاية الله فقد صار في حصن حصين، يحفظه الله ويرعاه ولا يتركه لأعدائه.

يقول أبو عبد الله بن سالم: «اجتهد في المراعاة؛ لتلحقك الرعاية، فإن من كان في رعاية الحق فهو في حصن حصين»[٣].

ويوضح علي بن سهل (ت ٣٠٧هـ) كيف يحقق السالك جانب الرعاية بقوله: «المبادرة إلى الطاعات من علامة التوفيق، والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية»[٤].

ويقول عز الدين بن عبد السلام رحمه الله (ت ٦٦٠هـ): «رعاية الشيء

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٥.
(٢) طبقات الصوفية: صـ٤٨.
(٣) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٤) الرسالة القشيرية: صـ١٠١.

حفظه من الفوات والنقصان، وحقوق الله سبحانه وتعالى ضربان: أحدهما فعل الواجبات، والثاني ترك المحرمات»[١].

ويقول إبراهيم بن المولد (ت ٣٤٢هـ) في بيان عظيم فضل الرعاية من الله على السالك: «من تولاه رعاية الحق أجل ممن تؤدبه سياسة العلم»[٢].

ويقول أبو العباس بن عجيبة (ت ٧٠٩هـ): «فما أسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية، وما أعظم فتح من لحظته منهم الرعاية»[٣].

*** التوكل والاكتساب:**

يذهب أبو عبد الله بن سالم إلى أن التوكل فريضة على كل مؤمن،مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، والتوكل في نظر ابن سالم طريق للوصول إلى نور القلب، والكفاية من كل هم وإدراك كل محبوب، يقول أبو عبد الله بن سالم: «من توكل على الله أسكن قلبه نور الحكمة، وكفاه كل هم، وأوصله إلى كل محبوب، فإنه عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي القائم له بكل كفاية[٤].

ويتعرض أبو عبد الله بن سالم لقضية شغلت بال الصوفية كثيرًا، وهي هل الأخذ بالأسباب والسعي على المعيشة والاكتساب يعارض التوكل، ويقرر أبو عبد الله بن سالم أن ذلك لا يعارض التوكل ولا يخرج عنه، غير أنه يفرق بين حالتين للسالك:

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله تعالى للعز بن عبد السلام: صـ١٢، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٢) طبقات الصوفية: صـ١٠٠.

(٣) إيقاظ الهمم: صـ١٠٧.

(٤) طبقات الصوفية: صـ١٠١.

الحالة الأولى: من امتلأ قلبه يقينًا في الله واعتمادًا عليه، واعتقادًا بأن المدبر لكل شيء والمتصرف في كل شيء على الحقيقة هو الله تعالى، ومن هذه حاله يجوز في حقه أن يترك الاكتساب ليس تكاسلاً ولا تهاونًا بل ثقة ويقينًا في الله تعالى، ويجوز له التكسب معاونة لا اعتمادًا.

والحالة الثانية: من ضعف عن الحالة الأولى، فإنه لا يجوز له ترك الاكتساب، ولا ينافي ذلك مقام التوكل، ولكن بشرط أن تكون استعانته بالاكتساب على وجه المعاونة لا على وجه الاعتماد، وإلا طعن ذلك في التوكل،يقول أبو عبد الله بن سالم – وقد سئل: أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل؟ فقال: «التوكل حال رسول الله ﷺ، والكسب سنة رسول الله ﷺ، وإنما استن الكسب لمن ضعف عن حال التوكل، وسقط عن درجة الكمال التي هي حاله ﷺ، فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال، إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه، ومن ضعف عن حال التوكل التي هي حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش؛ لئلا يسقط عن درجة سنته حيث سقط عن درجة حاله»(١).

هذا وقد سئل أبو الحسن بن سالم نفس السؤال الذي أجاب عنه أبوه بالجواب السابق وكانت إجابته مطابقة لإجابة أبيه(٢).

ويتضح من الكلام السابق أن أبا عبد الله بن سالم وولده يؤكدان على أن السالك على طريق النجاة لابد أن يسير على حال تشبه حال رسول الله ﷺ، أو يكون عاملاً بسنة رسول الله ﷺ وهذا فيه إشارة إلى أن التصوف الصحيح لا يخرج عن منهج رسول الله ﷺ يقول سهل التستري: «بنيت أصولنا على ستة أشياء: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام

(١) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٢) اللمع للطوسي: صـ١٦٢، ٢٥٩، ينظر: تفسير سهل: صـ٢٠٩.

والتوبة وأداء الحقوق»[1].

والذي دفع أبا عبد الله بن سالم إلى تفرقته السابقة أنه يرى أن هناك فرقًا كبيرًا بين ما يفتحه الله تعالى على المتوكل، وبين ما يجلبه الكسب على الإنسان يقول ابن سالم: «والحركة في طلب الرزق مباحة لمن عجز عن التوكل؛ فإن الله يقول: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فما يفتح بالطلب والكسب منه طيب وخبيث، وما يفتح بالتوكل لا يكون إلا طيبًا؛ لأن ذلك من معدن طيب»[2].

قلت: يحتل مقام التوكل عند الصوفية درجة عالية، ولأجل ذلك يبالغون في تقريره وتعظيمه، ويتخذون ذلك سبيلاً إلى تحقيق التوحيد الكامل، فعندهم أن المدبر لكل شيء والمتصرف في كل شيء على الحقيقة هو الله تعالى، واعتقاد ذلك من تمام الإيمان والتوحيد، وأن الاعتماد على الأسباب طعن في التوحيد والإيمان[3].

يقول أبو سعيد الخزاز (ت ٢٨٦هـ): «أول علامة التوحيد: خروج العبد من كل شيء، ورد جميع الأشياء إلى متوليها»[4].

وقد قرر أبو الحسن بن سالم أنه لا يستقيم قلب عبد حتى يقطع كل حيلة وكل سبب غير الله تعالى[5].

وأما تعارض الاكتساب مع التوكل فليس موجودًا بحال، ويدل على ذلك:

---

(١) عدة المريد الصادق لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بزروق: صـ٣٣، دار ابن حزم، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٦م.
(٢) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٣) ينظر: إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٢٧.
(٤) اللمع للطوسي: صـ٥٣.
(٥) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.

١- أن النبي ﷺ هو أكمل المؤمنين توكلاً، ولم ينقل عنه ﷺ أنه ترك التكسب، وإن كان الثابت من حاله اعتماده الكامل على الله وحده.

٢- أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح غاديًا إلى السوق يسعى على نفسه وعياله، حتى منعه المسلمون من ذلك وفرضوا له من بيت المال ما يكفيه حتى يتفرغ لمصالح المسلمين، ولا يمكن أن يقال: لم يكن الصديق في مقام التوكل، فليس أحد أولى بهذا المقام - بعد رسول الله ﷺ منه.

يقول حجة الإسلام الغزالي: «فدل هذا على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته،والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب»(١).

٣- أن ترك الاكتساب فيه ضياع للأهل والأولاد، يقول عز الدين بن عبد السلام: «وقد يتورع البعض من الاكتساب فيضيع ما أوجب الله عليه من نفقات العيال»(٢).

وما أجمل قول أبي طالب المكي: «ولا يضر التصرف والتكسب لمن صح توكله، ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله»(٣).

وأحسن بقول حجة الإسلام الغزالي: «وقد يظن أن معنى التوكل ترك التكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقام من مقامات الدين

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٥٨.
(٢) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل: صـ٤٣.
(٣) قوت القلوب: ٢/ ٢٤.

بمحظورات الدين؟»[1].

*** الإخلاص والنية:**

الإخلاص روح الأعمال الصالحة، ومعيار قبولها، ولا يزال الصادقون يتحرون الإخلاص وصدق النية تحريهم للطعام والشراب، ويرون في الإخلاص تمام التوحيد، وفي عدمه نوعًا من الإشراك بالله تعالى.

والإخلاص والنية الصالحة وجهان لعملة واحدة، يتواردان على محل واحد وعلى معنى واحد.

يقول أبو طالب المكي: «وصورة النية: صحة قصد القلب إلى العمل بحسن التيقظ والإخلاص به لوجه الله تعالى؛ ابتغاء ما عنده من الأجر»[2].

ولأرباب الطريق في تعريف الإخلاص عبارات مختلفة، فعرفه سهل بن عبد الله التستري بقوله: أن يكون سكون العبد وحركاته لله.، وعرفه أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) بأنه: إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، بأن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى[3]، وعرفه حجة الإسلام الغزالي بأنه: تجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب[4].

ويرى أبو عبد الله بن سالم أن الرياء – الذي هو نقيض الإخلاص ومبطله– نوع من الظلم؛ فإن من توجه بقصده لغير خالقه فقد حاد عن طريق

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٥٤.
(٢) قوت القلوب: ٢/ ٣٢٧.
(٣) الرسالة القشيرية: ٢/ ٣٥٩.
(٤) إحياء علوم الدين ٥/ ٢٥.

الهدى وتعدى وأساء وظلم، وكفى بالمرء ظلمًا لنفسه أن يقصد بعمله غير الله تعالى، ولا يزول ظلم الرياء عند أبي عبد الله بن سالم إلا بملء جوانب القلب بنور الإخلاص، كما أنه يرى أن الرياء نوع من الكذب والغش في المعاملة، لا يزول إلا بنور صدق النية والمقصد، ولذلك يقول: «يزول عن القلب ظلم الرياء بنور الإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق»(١).

وإطلاق الصدق على الإخلاص والنية إنما هو اصطلاح لبعض الصوفية،وعلى رأسهم أبو عبد الله بن سالم، يقول أبو طالب المكي: «والنية عند قوم هي الإخلاص بعينه، وعند آخرين الصدق»(٢)، ويقول حجة الإسلام الغزالي: «الصدق في النية والإرادة يرجع إلى الإخلاص، وهو ألا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا لله تعالى، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبًا»(٣).

ويرى أبو الحسن بن سالم أن النية الصالحة لها ثلاث مراتب:

الأولى: النية من الله ابتداء، فهو الواهب والمعطي للقصد الحسن والنية الصالحة، يقول أبو طالب المكي: «فالنية الصالحة هي أول العمل الصالح، وأول العطاء من الله تعالى، وإنما يكون للعبد من ثواب الأعمال على حسب ما يهب الله من النيات»(٤).

والثانية: النية لله تعالى مقصدًا وتوجهًا، فلا يصح عمل لا يتجرد القصد فيه إلى الله تعالى.

---

(١) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٢) قوت القلوب: ٢/ ٣٣٢.
(٣) إحياء علوم الدين: ٥/ ٣٩.
(٤) قوت القلوب ٢/ ٣٢٧.

والثالثة: الاستعانة بالله تعالى في استمرار النية الحسنة، وهذه المرتبة يسميها أبو الحسن بن سالم (النية بالله) يقول أبو الحسن بن سالم: «النية بالله، ولله، ومن الله»[١].

ويرى أبو الحسن بن سالم أن الرياء نصيب الشيطان، به يتمكن من الإنسان والعاقل لا يستبدل بالإخلاص والنية الحسنة شيئًا وإن قلت، يقول أبو الحسن بن سالم: «والآفات التي تدخل بعد النية من العدو، وهو نصيب العدو، وإن نصيب العدو وإن كثر لا يوازن بالنية التي هي بالله، ولله ومن الله، وإن قلت»[٢].

ويوضح أبو طالب المكي أثر فساد النية في التمكين للشيطان بقوله: «فأول سلطان العدو على القلب عند فساد النية، فإذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه»[٣].

*** الصبر:**

الصبر حبس النفس عن السعي في هواها، وحبسها على مجاهدتها لمرضاة مولاها، والصبر على أنواع: صبر عن المعاصي، وصبر على الطاعات، وصبر في المصائب[٤].

والصبر عند أبي الحسن بن سالم له درجات ثلاثة:

١- درجة التصبر، وهي درجة الصبر في الله، والسالك في هذه الدرجة قد يصبر مرة وقد يجزع، وقد تتمكن منه الشكوى والجزع، يقول أبو الحسن بن سالم:

(١) اللمع للطوسي: صـ٢٠٥.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٢٠٥.
(٣) قوت القلوب: ٢/ ٣٣٢، ٣٣٣.
(٤) قوت القلوب: ١/ ٣٩٨، ٤٠٥.

«المتصبر: من صبر في الله تعالى، فمرة يصبر عن المكاره، ومرة يعجز»[١]، فحقيقة التصبر نوع من المجاهدة ولا يمكن للنفس أن تحتمله إلا بعناء، ولذلك تخرج عن هذه الدرجة بالجزع والشكاية، يقول أبو طالب المكي: «التصبر مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه»[٢]، ويقول حجة الإسلام الغزالي: «التصبر يشق على النفس، فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد»[٣].د

والصبر في الله معناه: أن يصبر العبد طاعة لله وطلبًا لمرضاته، وسيرًا في سبيل أمره[٤].

٢- درجة الصبر: وهي عند أبي الحسن في الله ولله، وإذا وصل السالك إلى هذه الدرجة فإن الجزع لا يتمكن منه، لكن قد تكون منه الشكوى، يقول أبو الحسن بن سالم: «والصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع، ولا يتمكن منه الجزع، ويتوقع منه الشكوى[٥].

فدرجة الصبر أعلى من درجة التصبر؛ لأنها درجة يقل فيها العناء، وتضعف فيها المجاهدة، وكأن التصبر هو سبيل الصبر ومقدمته، يقول أبو طالب المكي: «والتصبر هو التعمل للصبر، والتصنع للصبور بمنزلة التزهد، وهو أن يعمل في أسباب الزهد ليحصل الزهد»[٦]، ويقول حجة الإسلام الغزالي

(١) اللمع للطوسي: صـ٧٦.
(٢) قوت القلوب: ١/ ٤٠٥.
(٣) إحياء علوم الدين: ٤/ ٩٢.
(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية: صـ٤٩، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٠٨هـ ١٩٨٩م.
(٥) اللمع للطوسي: صـ٧٧.
(٦) قوت القلوب: ١/ ٤٠٥.

في تفرقته بين التصبر والصبر: «وما يكون من غير شدة تعب، بل يصل بأدنى تحامل على النفس يخص باسم الصبر»[١].

ولا يحصل الصبر لله إلا لمن تعود على ترك حظوظ النفس ومرادها لمراد الله[٢].

٣- درجة الصبار: وهي عند أبي الحسن بن سالم تكون لمن صبر في الله ولله وبالله، وإذا وصل العبد لتلك الدرجة فإنه لا تؤثر فيه البلايا ولو اجتمعت،يقول أبو الحسن بن سالم: «وأما الصبار فذاك الذي صبره في الله، ولله، وبالله، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة، لا من جهة الرسم والخلقه»[٣].

ويشير ابن سالم في كلامه السابق إلى أن احتمال الصبار إنما هو من جهة الحقيقة، لا من جهة الخلقة، فقد تظهر في ملامحه أشياء تعبر عن الحزن، ولا تؤثر في درجة الصبر التي هو عليها.

يقول أبو طالب المكي: «ولا يخرج العبد عن الصبر كراهة النفس، ولا وجدان المرارة والألم، بل يكون مع ذلك صابرًا؛ لأن هذا وصف البشرية لما ينافي طبعها»[٤].

والصبر بالله درجة عالية، إذا وصل إليها العبد هان عليه كل شيء، وتحمل الأثقال ولم يجد لها ثقلاً، فصاحب هذه الدرجة لا يجد عناء الصبر ولا

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٩٢.
(٢) عدة الصابرين: صـ٥٠.
(٣) اللمع للطوسي: صـ٧٧.
(٤) قوت القلوب: ١/ ٤٠٥.

مرارته، وتنقلب مشاق التكليف له نعيمًا وقرة عين[١].

ويرى أبو عبد الله بن سالم أن من ثمار الصبر ترك الشكاية، وأن السالك إذا وصل إلى درجة ترك الشكاية فإنه قد وصل إلى درجة الرضا التي فيها إزالة الهموم، بخلاف الشاكي فإنه يتردد في الشكاية، بدون فائدة؛ لأنه لا يكون إلا حكم الله تعالى، يقول أبو عبد الله بن سالم: «من توحد ببثه، وتفرد بهمه أورده ذلك إلى رياض تكشف عنه بثه، وتزيل عنه همه، ومن شكا بثه كان مترددًا في الشكوى إلى أن يحكم الله فيه حكمه»[٢].

*** الذكر:**

يقسم أبو الحسن بن سالم الذكر إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الذكر باللسان، والذكر باللسان لا يعتد به إلا إذا تطابق اللسان مع القلب، فمجرد النطق اللساني لا يكفي[٣].

والمرتبة الثانية: الذكر بالقلب، ولا يكون إلا بالتخلص من الغفلة والنسيان والحجب التي تحول بين القلب وبين الله سبحانه وتعالى، مع ملازمة مراقبة القلب لله حتى كأنه يراه، ولزوم مناجاة القلب لربه، تضرعًا، وثناء، واستعظامًا[٤].

يقول السراج الطوسي في بيان ذكر القلب: إنه يكون بتنبيه القلوب على شرائط التذكير على إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته، ونشر إحسانه، ونفاذ تقديره على جميع خلقه، فذكر الراجين على وعده، وذكر الخائفين على وعيده، وذكر المتوكلين على ما كشف لهم من كفايته، وذكر المراقبين على مقدار ما طلع

(١) عدة الصابرين: صـ٥٠.
(٢) طبقات الصوفية: صـ١٠١.
(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٤٠٦.
(٤) مدارج السالكين: ٢/ ٤٠٧.

عليهم بإطلاع الله تعالى عليهم، وذكر المحبين على قدر تصفح النعماء[1].

وفي الحقيقة: أن ذكر اللسان مقدمة لذكر القلب، لا يتحقق الثاني إلا بعد الأول، يقول أبو القاسم القشيري: «فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب»[2].

والمرتبة الثالثة: وهي أعلى الدرجات وأسمى الحالات في نظر أبي الحسن بن سالم، ولا تكون إلا بملء القلب محبة لله تعالى وحياء منه في كل حال، يقول أبو الحسن بن سالم في بيان مراتب الذكر الثلاث: «الذكر على ثلاث: ذكر باللسان، فذاك الحسنة بعشرة، وذكر بالقلب، فذاك الحسنة بسبعمائة، وذكر لا يوزن ثوابه ولا يعد، وهو الامتلاء من المحبة والحياء من قربه»[3].

ويلاحظ أن ابن سالم يقطع بثواب كل مرتبة، فالمرتبة الأولى الحسنة بعشر أمثالها، والثانية بسبعمائة، والثالثة لا توزن بحصر ولا عدد من الثواب، وابن سالم في هذا القطع جانبه الصواب؛ لأن مقدار الثواب من جملة الغيب إلا ما كان منصوصًا عليه، وإن كان الذاكرون – قطعًا– متفاوتين في الثواب.

ومرتبة الذكر الثالثة هي التي قال فيها سهل بن عبد الله التستري: «ليس من أدعى الفكر هو الذاكر، ولكن الذاكر الصحيح لا يفارق قلبه العلم بأن الله شاهده، يراه بقلبه قريبًا منه فيستحي منه، ويخافه ويؤثره على من سواه»[4] ولا يخفى تأثر أبي الحسن بن سالم بشيخه سهل في المرتبة الثالثة.

(١) اللمع للطوسي: صـ٢٩١.
(٢) الرسالة القشيرية: ٢/ ٢٧٥.
(٣) تفسير سهيل: صـ٢٢٤، اللمع للطوسي: صـ٢٩٠.
(٤) المعارضة والرد: صـ١٣٣، اللمع للطوسي: صـ٢٩٠.

*** الخوف والعجب والمراقبة:**

الخوف من الله تعالى سوط يسوق العبد إلى الخير والمسارعة فيه، كما أنه يمنع عن الشر والقرب منه، والخوف منه يكون بخوف عقاب الله إما في الدنيا وإما في الآخرة(١).

وعند أبي الحسن بن سالم الخوف من الله تعالى يرتقي درجة رهبة العقاب إلى درجة مشاهدة القلب الدائمة لعظمة الله وجلاله، مع عدم الالتفات إلى شيء دون ذلك، ولاشك أن من هذا حاله، فإن الخوف يسوقه إلى مرضاة الله سوقًا، ويزجره عما سوى ذلك زجرًا.

يقول أبو الحسن بن سالم وقد سئل عن الخوف من الله فقال: «انتصاب القلب بين يدي الله تعالى»(٢).

والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فيستصغر العبد ذنبه ولا يستعظمه، ولذا لا يجتهد في تداركه وتلافيه، مع استعظام العبادات، والتغافل عن آفاتها، ومن كان هذا حاله كان أكثر سعيه ضائعًا(٣)، وعند أبي الحسن بن سالم : العجب استحسان العبد طاعته ورؤيته إياها، ولا نجاة للعبد من هذا الداء إلا برؤية التقصير ومشاهدة الآفات التي تدخل العبادات فتفسدها، يقول أبو الحسن بن سالم: «العجب: أن يستحسن العبد عمله ويرى طاعته، ولا يتهيأ للعبد ألا يستحسن عبادته إلا إذا علم تقصيره فيها والآفات التي تدخلها»(٤).

والمراقبة دوام علم العبد ويقينه باطلاع الله سبحانه وتعالى على ظاهره

(١) الرسالة القشيرية: ١/ ٢٥١.
(٢) تاريخ الإسلام ٨/ ١٦١.
(٣) إحياء علوم الدين: ٣/ ٥٠١.
(٤) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.

وباطنه، مع دوام هذا العلم واليقين[١].

وعند أبي الحسن بن سالم المراقبة علاج للنفوس وتهذيب لها وكسر لغرورها، ولا تتحقق إلا بأن يجعل الإنسان نفسه محل نظر الله الدائم، ومن كان هذا حاله فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا في شيء يرضى من يراقبه ويطلع على حاله، يقول أبو الحسن ابن سالم وقد سئل متى تتكسر النفس؟ فقال: بأن تجعل نفسك موضع نظر الله إليك، إن مددت يدك قلت: لم؟ وإن مددت رجلك قلت: لم؟ وإن نطقت تقول: لم؟[٢].

وهذه الحالة التي يتكلم عنها أبو الحسن بن سالم هي درجة عالية إذا وصل إليها السالك فإنه يراقب مواقع رضى الله تعالى ومساخطه في كل حركة مع الفناء عما يسخطه بما يجب[٣]، يقول حجة الإسلام الغزالي في وصف أصحاب تلك الدرجة: «هم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم، وغلب عليهم الحياء من الله،فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة، فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعًا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة»[٤].

*** الجوع:**

الجوع عند الصوفية وسيلة من وسائل كسر طغيان النفس وتذليلها، فالعبد لو ذلل نفسه بالجوع فإنه بذلك يضيق مجاري الشيطان، فتذعن النفس للطاعة،وتبتعد عن سبيل البطر والطغيان، وتؤثر العقبى على العاجلة، والنفس

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٦٥.
(٢) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.
(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٧٤.
(٤) إحياء علوم الدين: ٥/ ٥٣.

لا تنكسر ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع، فعنده تسكن لربها وتخشع له، كما أن الجوع سبيل إلى صفاء القلب وإيقاد القريحة(١)، ويرى أبو الحسن بن سالم أن الجوع من وسائل تهذيب النفس وتربيتها وكبح جماحها، وأنه ينبغي على السالك أو المريد ألا يعطي البطن حقها من الشبع، فمن روض نفسه على ذلك استقام له قلبه وانصلح، وذلك قوله: «إذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو، فجمحت بك النفس إلى الهلكة، وإذا منعت البطن حظه قصرت عنك كل جارحة عن حظها، فاستقام القلب لذلك»(٢).

ويلاحظ أن أبا الحسن بن سالم لا يدعو إلى الجوع الذي يخرج عن حد الاعتدال، ولكنه يدعو إلى محاربة ما يزيد من الأكل عن تحقيق الكفاية، وهو الشبع، يقول أبو حامد الغزالي في هذا المقام: «اعلم أن الأفضل إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة، ولا يحس بألم الجوع، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع؛ فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل المعدة يمنع من العبادة، وألم الجوع يشغل القلب ويمنع منها»(٣).

ومبدأ الاعتدال والكفاية تربى عليه أبو الحسن بن سالم على يد شيخه التستري، فقد ذكر أبو طالب المكي أن سهلاً نظر إلى أبي الحسن بن سالم يومًا فوجد في يده خبزًا وتمرًا فقال له: ابدأ بالتمر، فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعد حاجتك(٤).

والجوع في نظر أبي الحسن بن سالم يتدرب عليه ويتدرج في أخذ النفس به حتى تعتاده، وإلا خرج المريد بنفسه عن المقصود، يقول أبو الحسن بن سالم:

(١) إحياء علوم الدين: ٣/ ١٠٨- ١١٥، الرسالة القشيرية: ١/ ٢٧٠.
(٢) قوت القلوب: ٢/ ٣٥٤.
(٣) إحياء علوم الدين: ٣/ ١٢٩.
(٤) قوت القلوب: ٢/ ٣٥٦.

«كانوا إذا أرادوا أن يتقللوا ينقصون من طعامهم في كل جمعة مثل أذن السِّنَّور[1]، وقد كان سهل بن عبد الله (رحمه الله) يأمر أصحابه أن يأكلوا اللحم في كل جمعة مرة حتى لا يضعفوا عن العبادة»[2].

ويقول حجة الإسلام الغزالي: «أما تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته، فينبغي أن يتدرج إليه قليلًا قليلاً وذلك بأن ينقص قليلًا قليلاً من طعامه المعتاد»[3].

ويرى أبو الحسن بن سالم أن الجوع وحده لا يصلح النفس ولا يهذبها، إن لم يكن السالك على درجة عالية من مراقبة الله تعالى، وأن من جوع نفسه وغفل عن مقام المراقبة فقد بعد عن سبيل كسر النفس وتذليلها، يقول أبو الحسن بن سالم: «متى تنكسر النفس بترك الطعام والشراب؟» هيهات، – فسأله السراج الطوسي: بما استعين على كسر نفسي؟– فقال: «بأن تجعل نفسك موضع نظر الله إليك، إن مددت يدك قلت: لم؟ وإن مددت رجلك قلت: لم؟ وإن نطقت تقول: لم؟ هذا حبس النفس الذي تنكسر به،لا بترك الطعام والشراب[4].

*** السماع والوُجْد:**

تشغل مسألة السماع – أعني سماع الأشعار والقصائد– اهتمامًا كبيرًا في الفكر الصوفي، فأكثرهم على إباحته، وهم يفرقون بين سماع القصائد وبين

(١) السنور: حيوان أليف يشبه الهر، من خير مأكله الفأر، ومنه أهلي وبرى. لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٣٨١، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١/ ٤٥٤، دار الدعوة، القاهرة، بدون تاريخ، مادة (س، ن، ر).
(٢) اللمع للطوسي: صـ٢٦٩، ٥٢٧، الرسالة القشيرية: ١/ ٢٧٠.
(٣) إحياء علوم الدين: ٣/ ١٢٠.
(٤) تاريخ الإسلام: ٨/ ١٦١.

الأغاني: فالأغاني ما كان فيه التشبب بالنساء، وذكر فيه الغزل، ودعا إلى الهوى وشوق إلى اللهو، وهذا السماع عند الصوفية حرام، وأما القصائد فهي تذكر بالله وتدل عليه وتشوق إليه، وتهيج مواجيد الإيمان، وتذكر بطرقات الآخرة، ومقامات الصالحين(١).

ويقرر أصحاب هذا الاتجاه أن المريد مقصوده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه، وله في مقصده طريق هو سالكه، ومعاملات هو مثابر عليها،وحالات تستقبله في معاملاته، فإذا سمع ذكر عتاب، أو خطاب، أو قبول أو رد، أو وصل، أو هجر، أو قرب أو بعد، أو تلهف على فائت، أو تعطش إلى منتظر، أو وحشة أو استئناس، أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد، أو خوف فراق أو فرح بوصال، أو ذكر ملاحظة الحبيب، أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات، فلا يراعى مراد الشاعر من كلامه، بل يسقط ذلك على حاله مما يكون سببًا في تشوقه إلى مطلوبه، وقربه من مقصوده(٢).

ويشترطون في السماع شروطًا حتى يكون مباحًا منها:

١- ألا يعتقد في سماعه محظورًا، ولا يسمع على مذموم في الشرع، يقول أبو القاسم القشيري: «واعلم أن سماع الأشعار إذا لم يعتقد المستمع محظورًا ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم ينجر في زمام هواه، ولم ينخرط في سلك لهوه مباح في الجملة(٣).

٢- ألا يكون فيه شيء من الخنا والفحش أو الهجو، أو ما هو كذب على

(١) قوت القلوب: ٢/ ١٢٢.
(٢) إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٩٣.
(٣) الرسالة القشيرية: ٢/ ٥٠٤.

الله تعالى ورسوله ﷺ أو على الصحابة الكرام[1].

٣- ألا يسمع من امرأة أو أمرد؛ لما في ذلك من الفتنة.

٤- وألا يجتمع عليه؛ لأن ذلك من عادات أهل الفسق، فيمتنع؛ لئلا يتشبه بهم فمن تشبه بقوم فهو منهم[2].

وذهب بعض الصوفية إلى كراهة السماع ودعوا إلى تركه، ولهم في ذلك حجج منها:

١- أنه ثبت عن بعض الأئمة والمتقدمين أو العلماء والتابعين عدم إباحة السماع، والمنع منه، فالأولى الاقتداء بهم والمتابعة لهم؛ صيانة للديانة.

٢- أن فيه خطرًا على المريد، فقد يستلذ ما يسمع، ويتابعه هوى، فتنحل عنده العقود، وتنفسخ العزائم ويركن إلى الشهوات، وفي هذا تعرض للفتنة ووقوع في البلية.

٣- أن العامة لا تعرف مقاصد القوم في السماع، فربما كان ذلك دافعًا لهم إلى الوقوع في الفتن[3].

وأبو الحسن بن سالم لا يقبل السماع جملة، ولا يرفضه جملة، فهو يقبل السماع الخالي من اللهو واللعب، والذي يؤدي إلى تحريك الهمم وإحياء المواجد الداعية إلى الخير، ويرفض السماع الذي يشمل اللهو واللعب فيخرج بذلك عن الغاية منه، وذلك قوله لمن قال له: بلغنا عنك أنك تنكر السماع؟ فقال: كيف

(١) إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٨٥.
(٢) إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٧٣، ٣٨٤.
(٣) اللمع للطوسي: صـ٣٧٢ وما بعدها.

أنكر السماع وقد سمعه عبد الله بن جعفر الطيار؟ وإنما أنكر اللهو وأنكر اللعب في السماع[1]، وقد كان أبو عبد الله بن سالم يرى أن الصوفي الراسخ في تصوفه يؤثر السماع في قلبه ويحرك في داخله الوجد القوي سواء كان ذلك شوقًا، أو فرحًا أو حزنًا، أو انقباضًا أو انبساطًا، فيظل ساكنًا لا يظهر على جوارحه شيء، فإن تأثرت الجوارح بالمواجيد الناتجة عن السماع كان ذلك دليل ضعف الصوفي[2].

وقد كان أبو الحسن بن سالم على مذهب أبيه في هذا الأمر، فقد سأل سهلاً التستري عما يوجب قوة الحال عند السماع، فلا يظهر شيء على الجوارح؟ فأجابه بقوله: «لا يرد عليه وارد إلا وهو يبتلعه بقوة حاله، فمن أجل ذلك لا تغيره الواردات، وإن كانت قوية»[3].

وقد كان السراج الطوسي على مبدأ شيخه أبي الحسن بن سالم وذلك قوله: «اعلم أن من يكون ساكنًا بعد غلبات الوجد وقوة الوارد يكون أتم في معناه ممن يغلبه حتى يظهر على ظاهر صفاته»[4].

*** التزويج:**

للصوفية موقف من التزويج باعتبار أن فيه انشغالاً بالسعي على العيال، وصرفًا عن التفرغ الكامل لعبادة الله تعالى، ويعقد الصوفية مقارنة بين العزبة والزواج من حيث كون أحدهما أفضل في تخلي القلب عن كل ما يشغله عما سوى الله، ولهم في ذلك آراء أجملها حجة الإسلام الغزالي في قوله: «اعلم أن

(١) قوت القلوب: ٢/ ١٢٣، إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٦٩.
(٢) اللمع للطوسي: صـ٣٦٥، ٣٨١.
(٣) تفسير سهل: صـ٢٧٠، اللمع للطوسي: صـ٣٦٥.
(٤) اللمع للطوسي: صـ٣٨١.

العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح، فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله، واعترف آخرون بفضله، ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله ما لم تتق النفس إلى النكاح توقانًا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع، وقال آخرون: الأفضل تركه في زماننا هذا، وقد كان له فضيلة من قبل، إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة»[1].

ويرى أبو عبد الله بن سالم في هذه المسألة أنه إذا كان التزويج يعرض الإنسان لكسب الحرام أو الوقوع تحت سلطان فساد النساء، فإنه مكروه، والأولى مدافعة دواعيه، وأن السالك إذا غلبه الشبق واستحكمت منه شهوة النكاح فالزواج له أفضل، وإلا فالعزوبة أفضل لما في التزويج من الوقوع في المكاسب الحرام، يقول أبو طالب المكي يحكي عن الشيخ أبي عبد الله بن سالم[2] أنه سئل عن التزويج؟ فذكر ضيق المكاسب وقلة الحلال وكثرة فساد النساء، فكرهه للورع، وأمر السائل بالمدافعة، فأعيد عليه في ذلك، فقال: إنه يدخل في المعاصي؛ لدخول الإنسان في الآفات، وفي المكاسب المحرمات، ومن أكله بدينه وتصنعه للخلق، فلا يصلح التزويج في هذا الوقت إلا لرجل يدركه من الشبق ما يدرك الحمار إذا نظر إلى أتان، لم يملك نفسه أن يثب عليها، حتى يضرب رأسه وهو

(١) إحياء علوم الدين: ٢/ ٢٩.

(٢) ذكر أبو طالب المكي رأي ابن سالم في التزويج وسبقه بقوله: «وقال بعض علمائنا البصريين، قوت القلوب: ٢/ ٤٩٣، ولكن بمقارنة ذلك الرأي بما جاء في إحياء علوم الدين تبين أن الكلام لابن سالم ينظر: الإحياء ٢/ ٤٦، ولم أتحقق هل كلام الأب أم الابن، لكن بالاحتكام إلى عادة أبي طالب المكي وأنه إذا ذكر رأيًا لشيخه أبي الحسن بن سالم فإنه يذكره منسوبًا إلى شيخه مصرحًا باسمه أو يذكره بقوله: قال شيخنا وعالمنا ابن سالم،ينظر القوت ١/ ٢٦٠، ٢٦١، ٣١٦، ٣١٧، ٢/ ١٥٢، ٣٥٦، ترجح أن الكلام إنما هو لابن سالم الأب.

لا ينثني، فإن كان الإنسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل[١].

ويذهب أبو طالب المكي إلى مثل رأي أبي عبد الله بن سالم[٢]، وكذلك حجة الإسلام الغزالي[٣]، إلا أن حجة الإسلام يقرر أن أفضل المقامات أن يكون الإنسان ذا زوجة وعيال وكل ذلك لا يشغله عن ربه، وهذا في نظر الغزالي هو حال الأقوياء وأصحاب الهمم العالية، وذلك قوله: «اعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر عليه وعلت همته، فلا يشغله عن الله شاغل، ورسولنا ﷺ أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح، وقد كان مع تسع نسوة متخليًا لعبادة الله وكان قضاء الوطر في حقه غير مانع عن حضور القلب مع الله»[٤].

*** الشطح:**

عرف السراج الطوسي الشطح بأنه: «عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته، ويوضح السراج الطوسي هذا التعريف بأن الشطح مأخوذ من الحركة؛ لأن حركة أسرار الواجدين إذا قوى وجدهم عبروا عنه بعبارة يستغرب سامعها، فالمريد الواجد إذا قوى وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنواع الحقائق، سطع ذلك على لسانه، فيترجم بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعيها، كأن يقول أنا الحق، سبحاني، سبحاني[٥]، ويقول د/ عبد الرحمن بدوي: فالشطح إذن تعبير عما تشعر به النفس حينما

(١) قوت القلوب: ٢/ ٤٩٣، إحياء علوم الدين: ٢/ ٤٦.
(٢) قوت القلوب: ٢/ ٤٩٠، ٥٠٣.
(٣) إحياء علوم الدين: ٢/ ٤٨، ٤٧.
(٤) إحياء علوم الدين: ٢/ ٤٨.
(٥) اللمع للطوسي: صـ٤٥٣.

تصبح لأول مرة في حضرة الألوهية، فكأنها تدرك أن الله هي، وهي هو، ويأتي ذلك نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبه كتمانه، فينطلق بالإفصاح عنه لسانه، وينتقل الخطاب إلى صيغة المتكلم بعد أن كان ذلك في حال المناجاة بصيغة المخاطب، وفي حال الذكر بصيغة الغائب، ولا يكون ذلك إلا في حال من السكر وعدم الشعور(١).

والصوفية متباينون في موقفهم من الشطح فبعضهم يرفضه، وبعضهم يقبله ويحمله على محامل يمكن أن تكون مقبولة(٢).

وأبو الحسن بن سالم كان يتعقب أبا يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ) في شطحاته،ويرفضها بشدة ويحكم على قائلها بالكفر، ومن ذلك قوله: «فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد؛ لأن فرعون قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، والرب يسمى به المخلوق، فيقال: فلان رب دار، ورب مال، ورب بيت، وقال أبو يزيد: سبحاني سبحاني، وسبوح وسبحان من أسماء الله تعالى الذي لا يجوز أن يسمى به غير الله تعالى، إيش أراد بذلك؟ يلزمه الكفر»، وكان يقول في قول يزيد: ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش: هذه الكلمة كفر، ولا يقول مثل هذا إلا كافر.

قال السراج الطوسي: «ومع جلالة ابن سالم كان يسرف في الطعن على أبي يزيد (رحمه الله)،وكان يكفره من أجل أنه قال ذلك»، وحاول السراج تخريج ما نسب إلى أبي يزيد على محامل يمكن أن تكون مقبولة(٣).

---

(١) شطحات الصوفية: د/ عبد الرحمن بدوي: صـ١٠، ١١، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: اللمع للطوسي: صـ٤٥٣- ٥٠٠، إحياء علوم الدين: ١/ ٥٧، ٥٨.

(٣) اللمع للطوسي: صـ٤٧٢- وما بعدها.

ويفهم من كلام أبي الحسن بن سالم السابق أنه كان يقف موقفًا معاديًا للشطح رافضًا له، ويرى أنه باب للكفر ،ولكن إذا تعقبنا موقف أبي الحسن بن سالم من الشطحات المنسوبة إلى سهل التستري نجده يميل إلى الاعتدال، فهو يخرج كلام سهل، ويحمله على محامل تحالف ما يفهم من صريح العبارة، فقد حكى أبو الحسن بن سالم يومًا في مجلسه مقولة سهل التستري، (ذكر الله تعالى باللسان هذيان، وذكر الله تعالى بالقلب وسوسة)، فسئل عن ذلك فقال: كأنه أراد بذلك أن يكون قائمًا بالمذكور لا بالذكر، وذكر مرة مقولة سهل التستري: «إن الله لا ينام وانا لا أنام»[1] ولم يتعقبها بشيء من الإنكار[2].

ويذهب السراج الطوسي إلى أن أبا الحسن بن سالم لم يكن له موقف من الشطح في ذاته، وإنما كان موقفه من أبي يزيد البسطامي نفسه، فقد كان لا يميل إليه، ولا يقبل ما جاء عنه، ولذلك رفض شطحاته واعتبرها كفرًا، ولما كان ميل ابن سالم إلى شيخه سهل كبيرًا لم يخطئه والتمس له الأعذار، يقول السراج الطوسي: (لولا أن الشيخ أميل إلى سهل بن عبد الله (رحمه الله) منه إلى أبي يزيد (رحمه الله) لكان يخطئه أيضًا فيما حكى عنه،كما خطأ أبا يزيد (رحمه الله)، وكفره بين يديه في الكلام الذي حكى عنه؛ لأن في هذا الكلام الذي قد حكى عن سهل (رحمه الله) – وهو إمامه وأفضل الناس عنده– يجد المتعنت مقالاً إن قصد إلى ذلك[3].

ويرجع د/ محمد كمال جعفر موقف ابن سالم من شطحات أبي يزيد البسطامي إلى كون أبي يزيد كان شديد النقد لسهل بن عبد الله، وقد كان يرميه

(١) يخرج الدكتور محمد كمال جعفر هذه المقولة على معنى أن الأولياء تنام عيونهم ولا ينام موضع حالهم. مقدمة المعارضة والرد: صـ٣٩.
(٢) اللمع: صـ٤٧٦.
(٣) اللمع: صـ٤٧٦.

بالقصور الروحي، فموقف أبي يزيد من سهل أثر في أبي الحسن بن سالم فقال ما قال في أبي يزيد انتصارًا لشيخه(١).

وأيما كان الأمر فرأي أبي الحسن بن سالم في الشطح أنه كان لا يرفضه، بل يقبله ويحمله على محامل خلاف الظاهر من المعنى المستهجن عند السامع.

*** تعقيب:**

يمكن أن نستنتج مما سبق ما يلي:

١- أن المدرسة السالمية في بكورها الأولى لم تكن مدرسة كلامية متكاملة الآراء والأركان، فلم تكثر من الكلام في المسائل الكلامية، بل كان جل اهتمام المدرسة بالجوانب الصوفية، مما يرجح أنها كانت مدرسة صوفية من البداية أكثر منها كلامية، ويشير إلى ذلك ما جاء في مقدمة كتاب (المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى في الأحوال) لسهل بن عبد الله التستري، على لسان أبي الحسن بن سالم حيث قال: «إنه كتب إلى سهل بن عبد الله بخمسة آلاف مسألة في علم التوحيد، والمعرفة، واليقين، والرضا، والتوكل، وعلم النفوس من الصدق، والإخلاص، والرجاء، والخوف، والورع، والزهد،والحياء،والمراقبة، وما أشبه ذلك، وأنه يحفظها، ويحفظ الجواب عنها(٢). وأيضًا ما ذكره أبو طالب المكي من أن الشيخ أبا الحسن بن سالم كان مقصدًا ترد إليه الرسائل من الشيوخ فمن دونهم يسألون عن علم السرائر فيجيب، ويفيد الطالبين(٣).

٢- أن المدرسة السالمية في بكورها الأولى كانت تسير في ركاب مدرسة

(١) مقدمة المعارضة والرد: صـ٣٩.
(٢) المعارضة والرد: صـ٧٥.
(٣) قوت القلوب: ٢/ ١٥٣.

أهل السنة والجماعة سواء في الآراء الكلامية أو في الآراء الصوفية، ولم تخرج عنهم في شيء.

ويؤكد ذلك ما سبق من الآراء التي عرضناها، وقمنا بدراستها، كما يؤكده أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله (ت ٣٤٠هـ) كان في البصرة، وكان معاصرًا لأبي الحسن بن سالم وهو يؤسس لمدرسته، ويلتف حوله طلابه ومريدوه، ولم يتعرض أبو الحسن الأشعري لآراء السالمية لا من قريب ولا بعيد، ولو كانت لهم آراء مخالفة لما عليه أهل السنة لما فات الأشعري أن يذكر ذلك وينبه عليه وهو الفارس في هذا الميدان.

وأيضًا خالط السالمية مدة من الزمن المقدسي (ت ٣٨٠هـ) صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) -وكانت تلك المخالطة في العهود الأولى للسالمية- ولم يلحظ عليها شيئًا في العقيدة، ولا في التصوف، غير أنهم يبالغون في مدح صاحبهم، يقول المقدسي: «وبالبصرة مجالس وعوام السالمية، وهم قوم برعوا في الكلام[1]، والزهد، وأكثر المذكرين بالبصرة منهم، وذكروا أن صاحبهم ابن سالم كان يتفقه لأبي حنيفة، وأنه كان غلام سهل بن عبد الله التستري، ورأيتهم قومًا فيهم رزق وصالحون، إلا أنهم يفرطون في إطراء صاحبهم، وقد اختلفت إليهم المدة المديدة،وعرفت سرائرهم وحللت من قلوبهم؛ لأني رجل أحب أهل النسك،وأميل إلى أهل الزهد، ولهم رقة في الكلام، وترتفع مجالسهم عن الخلاف»[2].

ولاشك أن كلام المقدسي في وصف المدرسة السالمية يكتسب أهميته من جهتين:

(١) هذا وصف للتلاميذ بعد رحيل المؤسسين.
(٢) أحسن التقاسيم: صـ١٢٦.

فمن جهة: أنه وصف صادر عن رجل التقى بالسالمية، وعاصرهم وطالت عشرته لهم حتى تمكن من الاطلاع على خفاياهم.

ومن جهة: أن هذا الوصف من أقدم النصوص التي تتحدث عن هذه المدرسة، فلو كان لدى هذه المدرسة شيء يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة لعرفه المقدسي، وأشار إليه(١).

وقد كان أبو الحسن بن سالم شديد التحري لسنة النبي ﷺ، فقد كان يفتي بأن الأولى ألا يحج الإنسان إلا مرة واحدة في الإسلام، محتجًا بأن رسول الله ﷺ لم يحج إلا حجة واحدة(٢).

كما كان يهجر من كان يخالف شيئًا من سنة النبي ﷺ، حتى لو كان من الصالحين، فقد هجر رجلاً في البصرة يصوم الدهر، وكان يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل(٣).

هذا، وقد أصاب المدرسة السالمية بعد المؤسسين تطور كبير في الأفكار، والآراء الصوفية والكلامية، فخرجت المدرسة من كونها صوفية إلى كونها كلامية ذات نزعة صوفية، واختلط في آرائها التصوف بمسائل علم الكلام، وقد تعثرت المدرسة في سيرها في مسائل بعدت بها عن مدرسة أهل السنة، مما عرضها

(١) ينظر: أبو طالب المكي ومنهجه الصوفي، رسالة ماجستير لأستاذنا الدكتور عبد الحميد مدكور: صـ٧٢ نوقشت بدار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٧٢م.

(٢) اللمع للطوسي: صـ٢٢٣.

(٣) عوارف المعارف للإمام شهاب الدين السهرودي ت/ د/ عبد الحليم محمود د/ محمود بن الشريف، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

للنقد الشديد الذي وجه إليها من الصوفية أنفسهم[١]، ومن المتكلمين[٢]، وأكثر من نقد المدرسة السالمية هم الحنابلة ابتداء من أبي يعلى بن الفراء (ت ٤٥٨هـ)، فقد ألف كتاب سماه (الرد على السالمية) [٣]، كما أفرد لها بابًا في كتابه (المعتمد في أصول الدين) ذكر فيه آرائهم وفندها[٤]، ومرورًا بأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)[٥]، وانتهاء بابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، ويعد ابن تيمية من أكثر من توسع في نقده للسالمية، مع إنصاف كبير لهم[٦]، ثم جاء الأتباع من الحنابلة يرددون

(١) ينظر: الغنية لطالبي طريق الحق للإمام عبد القادر الجيلاني: ١/ ١٣٢، ١٣٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٩٦م.

(٢) يراجع كتاب: تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) فقد ألفه بالأصل ردًا على بعض السالمية، وهو أبو علي الأهوازي المقرئ ت ٤٤٦هـ، والذي سبق أن ذكرته في أتباع المدرسة السالمية، وقد كان لهذا الرجل أثر كبير في إدخال آراء شاذة في تعاليم المدرسة السالمية. ينظر: أبو طالب المكي ومنهجه الصوفي: صـ٦٧.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام: ١٠/ ١٠١- ١٠٦.

(٤) ينظر: المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى بن الفراء: صـ٦٩- ٢٢١. ت/ د وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٦م.

(٥) ينظر: تلبيس إبليس لأبي الفرج بن الجوزي: صـ٨٦، صـ٩٠، صـ١٧٥، صـ١٧٦، صـ٢٩٩، صـ٣٤٤، صـ٣٦٥، مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون تاريخ.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢/ ٢٩٩، ٥/ ١٢٤، ٢٢٠، ٥٨٣، ٤٨٤، ٦/ ٥٦، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٦٨، ٣١٠، ٣١١، ١٢/ ١٦٦، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٩، ٣١٩، ٣٢٠، ٥٢٧، ١٣/ ١٥٦، ١٤/ ٣٤٨. ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: ٢/ ٣٢١، ٤/ ٤٠، ١١١، ١٢٧، ٨/ ٥٠٢، ١٠/ ٢٨٧، ت/ د محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢/ ١٤١١هـ ١٩٩١م. جامع الرسائل لابن تيمية: ١/ ١٨١، ٢/ ٤، ١٢، ١٧، ٢٩، ت/ د محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض،

ما نقله هؤلاء الأئمة.

وإن مسألة تطور السالمية بعد المؤسسين تحتاج إلى بحث خاص تعالج فيه طبيعة التطور وأسبابه في الجانب الصوفي والكلامي، كما أن السالمية في عيون نقادهم تحتاج إلى بحث مستقل، وإني أسأل الله تعالى أن يوفقني إلى القيام بهذا العمل أو يوفق غيري من الباحثين إلى القيام به؛ إنه خير مسئول وبالإجابة قدير.

ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الخلق وحبيب الحق، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد.

فقد عشت مع هذا البحث مدة أعالج قضاياه، وأرتب أفكاره، واستخلص نتائجه ومن النتائج التي توصلت إليها بفضل الله تعالى.

١- أن المدرسة السالمية كانت في البصرة وسوادها، وكان لها أثر كبير في العالم الإسلامي، ابتداء من القرن الرابع الهجري وما بعده.

٢- أن المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة هو أبو عبد الله بن سالم وولده أبو الحسن بن سالم.

٣- أنه كان لسهل بن عبد الله التستري أثر كبير في أبي عبد الله بن سالم وولده أبي الحسن، فلم يعرف أبو عبد الله بن سالم شيخًا له سوى سهل التستري، كما لم يعرف أبو الحسن بن سالم شيخًا له بعد أبيه سوى سهل التستري.

٤- أنه لم يترك أحد السالميين مؤلفا يحوي الآراء والأفكار، ولكن نقلت آراء ابني سالم عن طريق التلاميذ والأتباع وأصحاب التراجم.

٥- أن المدرسة السالمية بدأت تتسع قاعدتها زمن أبي الحسن بن سالم على الخصوص.

٦- أنه كان لأبي نصر السراج الطوسي وأبي طالب المكي- وكلاهما من تلاميذ أبي الحسن بن سالم- أثر كبير في نشر الآراء الصوفية، ولاسيما

آراء شيخها ابن سالم.

٧- أن المدرسة السالمية في بكورها الأولى -زمن المؤسسين- لم تكن مدرسة كلامية متكاملة الآراء والأركان، بل كانت مدرسة صوفية أكثر منها كلامية.

٨- أن المدرسة السالمية في بكورها الأولى كانت تسير في ركاب مدرسة أهل السنة والجماعة، ولم تخرج عنها.

***التوصيات:**

١- توجيه الدراسات البحثية لمحاولات الربط بين آراء المؤسسين لأي مدرسة أو فرقة صوفية أو كلامية، وبين آراء التلاميذ والأتباع؛ فكثيرًا ما يدخل التلاميذ والأتباع ما يبعد عن منهج المؤسس الحقيقي.

٢- إفراد دراسة خاصة عن تأثر المدرسة الشاذلية بالمدرسة السالمية.

٣- إفراد دراسة خاصة عن تطور المدرسة السالمية بعد مؤسسيها.

٤- إفراد دراسة خاصة عن السالمية في عيون نقادهم.

والله الموفق

د/مسعد عبد السلام

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- أبكار الأفكار لسيف الدين الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢- أبو طالب المكي ومنهجة الصوفي، رسالة ماجستير لأستاذنا الدكتور/ عبد الحميد مدكور، نوقشت بدار العلوم القاهرة،١٩٧٢م.

٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لأبي عبد الله المقدسي، مكتبة مدبولي. القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٤- إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٥- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين السلاوي، الدار البيضاء، بدون تاريخ.

٦- إشارات المرام من عبارات الإمام للعلامة كمال الدين البياضي، ت د/ يوسف عبد الرازق مصطفى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.

٧- أصول الدين لأبي منصور البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣، ٢٠٠٢م.

٨- أصول الدين لأبي اليسر البزدوي، ت هانز بيترلنس، المكتبة الأزهرية، ط ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٩- الأنساب للسمعاني، ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس

دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الهند، ط١ ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

١٠- إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لأبي العباس أحمد بن عجيبة، دار المعارف مصر، بدون تاريخ.

١١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي ت/ د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ت. د/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ط/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٣م.

١٣- تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٤- التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الاسفراييني ت/محمد زاهد الكوثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٥- تحفة المريد على جوهرة التوحيد للعلامة البيجوري، ط المعاهد الأزهرية، ١٤١٣/ ١٩٩٣م.

١٦- التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي ت/ محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٧- تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري؛ دار الحرم للتراث، مصر، بدون تاريخ.

١٨- تلبيس إبليس لأبي الفرج بن الجوزي، مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون.

١٩- التمهيد لأبي المعين النسفي، المكتبة الأزهرية، للتراث، ط ٢٠٠٦م.

٢٠- جامع الرسائل لابن تيمية، ت/ د/ محمد رشاد سالم، دار العطاء،الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩هـ.

٢٢- دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير نخبة من العلماء بإشراف: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١/ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٣- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢/ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٤- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ت د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة،بدون تاريخ.

٢٥- الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة د/ محمد سيد أحمد المسير، دار المعارف، ط٢/ ١٩٨٨م.

٢٦- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، دار الحديث،القاهرة،ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٧- سنن أبي داود، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.

٢٨- سنن النسائي الكبرى، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ.

٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، ط١/ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٠- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ت د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٣، ١٤١٦/ ١٩٩٦م.

٣١- شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني، المكتبة الأزهرية، ط١،

١٤٢١هـ ٢٠٠م.

٣٢- شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٧م.

٣٣- شرح قاسم بن قطلوبغا للمسايرة في علم الكلام، المكتبة الأزهرية للتراث،ط١، ٢٠٠٦م.

٣٤- شرح لمع الأدلة لابن التلمساني، ت د/ السيد محمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، ط١ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٥- شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٣٦- شرح المواقف للشريف الجرجاني، ت/ د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٧- شطحات الصوفية د/ عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تاريخ.

٣٨- صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.

٣٩- طبقات الأولياء لسراج الدين بن الملقن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢/ ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٠- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، ط الشعب، ١٣٨٠هـ.

٤١- الطبقات الكبرى للشعراني، مكتبة محمد المليجي الكتبي، مصر، ط١ ١٣١٥هـ.

٤٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، دار ابن كثير،

دمشق، ط٣/ ١٤٠٩- ١٩٨٩م.

٤٣- عدة المريد الصادق لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بزروق، دار ابن حزم، القاهرة، ط١/ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٤- عوارف المعارف لشهاب الدين السهرودي، ت/ د. عبد الحليم محمود، د محمود بن الشريف، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

٤٥- غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٤٦- الغنية لطالبي طريق الحق للإمام عبد القادر الجيلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦/ ١٩٩٦م.

٤٧- الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، ط ١٩٨١م.

٤٨- قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٤٩- الكامل في أصول الدين لابن الأمير، ت/ جمال عبد الناصر عبد المنعم، دار السلام، القاهرة،ط١/ ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٥٠- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٥١- اللمع لأبي نصر السراج الطوسي، ت/ د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر ١٣٨٠- ١٩٦٠م.

٥٢- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد،١٤١٩هـ/ ١٩٩٥م.

٥٣- مختصر منهاج القاصدين لنجم الدين أبي العباس ابن قدامة،دار البيان،دمشق، ط/ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٥٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢/ ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٥٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لأبي عبد الله محمد بن أسعد اليافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٦- المسامرة في شرح المسايرة للكمال بن الهمام، المكتبة الأزهرية، ط١ ٢٠٠٦م.

٥٧- المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلي بن الفراء، ت/ وديع زيدان حداد. دار المشرق، بيروت ط ١٩٨٦م.

٥٨- المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى في الأحوال لسهل بن عبد الله التستري، ت د/ محمد كمال جعفر، دار الإنسان، القاهرة ط/ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٥٩- معجم البلدان لياقوت الحموي،ت/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٤١٤- ١٩٩٣م.

٦٠- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٦١- معجم الفرق والمذاهب الإسلامية د/ إسماعيل العربي، دار آفاق، المغرب، ط١، ١٤١٣- ١٩٩٣م.

٦٢- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ.

٦٣- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الله البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣.

٦٤- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة،دار الدعوة،القاهرة،١٤١٦-١٩٩٥م بدون تاريخ.

٦٥- مقاصد الرعاية لحقوق الله تعالى للعز بن عبد السلام،دار الفكر، دمشق، ط١.

٦٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط١/ ١٣٥٨هـ.

٦٧- موسوعة الأديان في العالم (الفرق الإسلامية)،دار كرايبسي أنترناشونال، بدون تاريخ.

٦٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، بدون تاريخ.

٦٩- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د/ علي سامي النشار، دار السلام، القاهرة، ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٠- نفحات الأنس من حضرات القدس لأبي البركات عبد الرحمن الجامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر ٢٠١٠م.

٧١- نهاية الأقدام في علم الكلام لأبي الفتح الشهرستاني، ت/ الفررجيوم، مكتبة زهران، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٢- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥٤٣.....
المبحث الأول: محمد بن سالم وولده أبو الحسن.....	٥٤٥.....
المبحث الثاني: سهل التستري وتأثيره في أبي عبد الله بن سالم وولده	٥٥٥.....
المبحث الثالث: الأتباع والتلاميذ	٥٦٢.....
المبحث الرابع: آراء ابني سالم.....	٥٧٠.....
أولاً: الآراء الكلامية:.....	٥٧٠.....
ثانيًا: الآراء الصوفية:.....	٥٨٣.....
الخاتمة	٦١٧.....
المصادر والمراجع	٦١٩.....
فهرس الموضوعات	٦٢٦.....